بحوث في التفسير الموضوعي

للدكتور
نبيل بن محمد الجوهري
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
المساعد بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

الجزء الثاني

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على أشرف المرسلين ، ورحمة الله للعالمين وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

وبعد

وبعد فهذا هو الجزء الثانى من كتاب "" بحوث فى التفسير الموضوعى""وهى بحوث متنوعة ، أعد كل بحث منها بمفرده ، وفى وقت مختلف عن أشقائه ، بل وفى أماكن مختلفة ، مما يجعل لكل بحث منها رضايا خاصا ، وصوتا مميزا وعطرا فواحا مختلفا ، والله أسأل أن ينفع بها ، وأن يثيب عليها كل من ساهم فى إعدادها ، إنه خير مسئول ، وبالإجابة جدير ، وصلى الله تعالى على عبده وحبيبه سيدنامحمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

نبيل بن محمد الجوهرى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى سخر لنا ما فى السماوات وما فى الأرض ، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، فله الحمد على ما سخر وذلل ، وله الحمد على ما أسبغ وأسبل ، حمداً يوافى نعمه ويجلب المزيد .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الحمد وله الشكر ، له الخلق وله الأمر ، كل النعم منه وحده ، وكل ما سواه وسائط مسخرون لإيصال نعم الله إلى عباده .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله ، النعمة المسداة ، والرحمة المهداة ، أرسله ربه على حين فترة من الرسل ، فهدى به من الضلالة وبصر به من العمى ، فاللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ونبيك سيدنا محمد وآله عدد ما أحاط به علمك ، وخط به قلمك وأحصاه كتابك ، رفعة لنا فى الدنيا ، وذخراً لنا فى العقبى .

ثم أما بعد

فقد لفت نظرى ، واسترعى انتباهى كثرة المؤلفين فى الصبر والابتلاء والشدائد ، ونحو ذلك ، بينما يصعب عليك أن تجد مؤلفاً واحداً فى الشكر أو النعم ، وكل من تكلم فى الشكر من العلماء إنما تكلم عنه مع جملة أخرى من أمور هذا الدين ، ومع أن ابن القيم رحمه الله قد ألف كتاباً مفرداً فى

الصبر والشكر إلا أننى أقول : إن هذا الكتاب أصل فى الصبر ، فرع فى الشكر ويظهر ذلك من أمرين :-

الأول : تقديمه الصابرين على الشاكرين ، فقد سماه : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، مع أن الشكر يتصور لدى كل الناس ، فلا يخلو أحد من نعمة ، بينما لا يختص الصبر إلا بأصحاب البلاء ، وهم بعض الناس .

الثانى : أنه ذكر فى الكتاب خمسة وعشرين باباً ، لم يفرد منها باباً واحداً للشكر ، فمن أول الكتاب إلى الباب الثامن عشر ، وكذلك الباب الأخير كلها فى الصبر ، ولا يبقى بعد ذلك إلا ستة أبواب تكلم فى واحد منها عن الإيمان صبر وشكر ، وتكلم فى خمسة أبواب عن التفضيل بين الصبر والشكر ، أو بين الغنى الشاكر والفقير الصابر ، وكل ما ذكره عن الشكر جاء عرضاً ضمن هذه الأبواب الخمسة .

ولا فرق فى ذلك بين المؤلفات فى القديم والمؤلفات فى زماننا ، فما أشبه الليلة بالبارحة ، وقلت فى نفسى : إن الناظر فى هذه المؤلفات وعناوينها يتبادر إليه أن البلاء لا يترك أحداً من الناس ، وأن النعمة مخصوصة ببعضهم دون بعض ، مع أن الحقيقة خلاف ذلك .

وذكرت فى نفسى بيتين من الشعر ، كنت قد قرأتهما ، ألا وهما قول

الشاعر:

يا أيها الظالم فى فعله

والظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتى متى

تشكو المصيبات وتنسى النعم (١)

ثم وقفت بعد ذلك على قول الشاعر:-

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد

لغره ملك أو علو مكان

لما أمر الله العباد بشكره

فقال : اشكرونى أيها الثقلان (٢)

فعقدت العزم على أن سقط أذكر نفسى والناس من حولى بشكر نعم الله تعالى وذلك من خلال كلمات أحبرها بالحمد ، وصفحات أبيضها بالشكر ، فاستخرت واستشرت ، أسأل الله زيادة النعم ، ودفع النقم ، وأعوذ به من خزى الدنيا وعذاب الاخرة ، وأسأله تمام النعمة ، وكمال المنة ، وذلك بدخول الجنة ، إنه خير مأمول ، وأكرم مسئول ، وكفى بربك هادياً ونصيراً .

أبو عبد الرحمن

نبيل بن محمد الجوهرى.

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين صـ ١٤٤ .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء صـ ٢٦٣ .

أسباب اختيار الموضوع :-

١ - أهمية الشكر ، وقد سبق تفصيل أهمية الشكر وفضله عما قريب .

٢ - قصور فهم بعض الناس له ، فبعضهم يستخدم نعم الله لديه فى معصيته ، ثم يشكر الله بلسانه ، ويظن أنه من الشاكرين .

٣ - احتياج كل الناس لمعرفته ، علماً وفهماً ، ثم واقعاً وعملاً ، ليحصلوا على المزيد من النعم .

٤ - قلة المؤلفين فيه استقلالاً ، فمن كتب فيه - وهم قليل قلة الشاكرين - كتب فيه مقروناً بالصبر أو ضمن كتب جمعت عدة مواضيع ، ولم أقف على تأليف مستقل فيه إلا عملاً واحداً ، يحتاج - من وجهة نظرى القاصرة - على إعادة تأليفه على كبر حجم هذا التأليف نسبياً ، غفر الله لى ولصاحبه .

لهذا وغيره مما أشرت إلى بعضه فى المقدمة تاقت نفسى لألج باب هذا الموضوع ، لعل الله سبحانه يعيننى على جمع شتاته ، وحسن ترتيبه ، وجميل ظاهره وباطنه .

منهج البحث

سأقتصر فى هذا الموضوع على المنهج الوصفى الذى يجلى جوانب هذا الموضوع حتى يبدو لى وللناس محدد المعالم . واضح القسمات .

ولن يعدو الوصف آيات القرآن الكريم التى تتعلق بموضوع البحث . إلا بما يخدمها . كتأكيدها أو شرحها وبيانها بحديث صحيح . أو قولة مأثورة . أو حكمة جامعة . أو شعر عذب بديع . لأن هذا بحث فى التفسير الموضوعى فلا بد أن يدور فى فلك التفسير . وأن يتغذى بلبان الذكر الحكيم .

المبحث الأول : تعريف الشكر لغة واصطلاحا

أولاً : تعريف الشكر لغة :-

يقــول ابن فــارس :- « الشين والكاف والراء أصـول أربعـة متـباينة ، بعيدة القياس ،

فالأول : الشـكـر : الثناء على الإنسـان بمعروف يوليكه ، ويقـال : إن حـقـيقـة الشكر الرضـا باليسـيـر ، يقـولون : فـرس شكور ، إذا كـفـاه لسمنه العلف القليل ، .... ،

والأصل الثاني : الامتلاء ، والغزر في الشيئ ، يقال : حَلُوبَةٌ شَكِرَةٌ ، إذا أصابت حظاً من مرعى فَغَزُرَتْ ، ويقال أشْكَرَ القوم ، وإنهم ليحتلبون شَكِرَةً ، وقد شَكِرَت الحَلُوبَةُ ، ومن هذا الباب شَكِرَت الشجرةُ ، إذا كثر فيئُها ،

والأصل الثالث : الشُّكيرُ من النبات ، وهو الذي ينبت من ساق الشجرة ، وهي قضبان غضة ، ويكون ذلك في النبات أول ما ينبت ، ..... ،

والأصل الرابع : الـشُّـكْـرُ ، وهـو النكاح ، ويقــال شَكْرُ المرأة فرجها ، ..... » (١)

وقــال الراغب : « وقيل : هو مـقلوب عن الكشر ، أي الكشف ، ويضـاده الكفـر الذى هـو نسـيان النعـمة وسـترها ، ودابة شكور ، مظهـرة بسـمنها إسداء صـاحبها إليها ، وقيل أصله من عين شكرى ، أي ممتلئة ، فـالشكر

(١) معجم مقاييس اللغة (شكر) .

على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه ، ..... ، وقد شكرت الشجرة كثر غصنها (١) .

وقال القرطبى : « وأما الشكر فهو فى اللغة الظهور ، من قوله : دابة شكور ، إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تُعْطَى من العلف » (٢) .

ولا تخرج كتب اللغة عن هذه المعانى إلا نادراً ، والمدقق الممعن النظر فى مفردات هذه المادة ، ومعانيها التى ذكرت معها يمكن أن يقول : إن كل مشتقات هذه المادة يرجع إلى معنى واحد ، وأصل واحد مطرد ، وهو الكثرة والزيادة أو ظهور الكثرة والزيادة فالفرس الشكور أو الدابة الشكور ، إنما وصف بذلك لكثرة لحمه وزيادته ، لا سيما إذا كان قليل العلف ، والحلوبة الشكرة التى كثر لبنها وزاد ، وأشكر القوم زادوا ، وكثروا ، أو زاد حليبهم ، وكثر ، وشكر النبات والشجر ، كثرة أغصانها ، الداعى إلى كثرة ثمارها وأكلها ، وسمى النكاح شكراً - بفتح فسكون - لأنه سبب كثرة الناس وزيادتها ، وسمى فرج المرأة كذلك ، لأنه مصدر تلك الزيادة والكثرة فى النسل ، إذ هو موضع الحرث الذى أشار أليه القرآن الكريم ، وأما العين الشكرى فهى التى يكثر فيها الماء ويزداد إلى حد الامتلاء ، وشكر الناس النعم سبب زيادتها وكثرتها ، وشكر الله زيادة الأجر وكثرته ألى أضعاف

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن صـ ٤٦١ ، ٤٦٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٣٩٧ .

كثيرة ، وأما كون الشكر مقلوب الكشر ، الذى هو الكشف ، كما ذكر الراغب ، أو هو الظهور كما يقول القرطبى ، فلأن الكثرة والزيادة ، أمر يظهر للناس ، وينكشف لهم ، فهو لازم من لوازم الكثرة والزيادة غالباً .

وعلى كونه لغة بمعنى ظهور الكثرة والزيادة فهو أخص من الأول ، فقد يكثر الشئ ويزداد ، ولا يظهر ذلك لكل الناس ، وعليه تحمل كل المعانى السابقة ، فالفرس الشكور إذا ظهر سمنه وكَثُر لحمه ، والعين الشكرى يظهر لكل راءٍ زيادة مائها وكثرته إلى حد الامتلاء ، وهكذا .

ثانياً: تعريف الشكر اصطلاحاً

* الأصل فى التعريف أن يكون مختصراً وأن يكون جامعاً مانعاً ، فكلما كان التعريف قليل الكلمات ، وكان مع قلة كلماته جامعاً لكل أفراد جنسه ، فلا يند منه فرد ، مانعاً من دخول أفراد غيره فيه ، كلما أمكننا تحقيق ذلك كان أفضل .

أقول ذلك فى مقدمة كلامى عن تعريف الشكر اصطلاحاً ، لأنى وجدت جملة كثيرة من تعريفات الشكر ذكرها العلماء بعضها غير جامع ، وبعضها غير مانع ، ولذلك قال الغزالى : « كل ما قيل فى حد الشكر قاصر عن الإحاطة بكمال معانيه » (١) ، وقال أيضاً بعد أن ذكر بعض أقوال السلف فى تعريف الشكر : « وهؤلاء أقوالهم تعرب عن أحوالهم ، فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ، ثم قد يختلف جواب كل واحد فى حالتين ، لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالاً بما يهمهم عما لا يهمهم ، أو يتكلمون بما يرونه لائقاً بحال السائل ، اقتصاراً على ذكر القدر الذى يحتاج إليه ، وإعراضاً عما لا يحتاج إليه ، فلا ينبغى أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم ، وأنهم لو عرض عليهم جميع المعانى التى شرحناها كانوا ينكرونها ، بل لا يظن ذلك بعاقل أصلاً ، إلا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ فى أن اسم الشكر فى وضع اللسان هل يشمل جميع المعانى ،

---

(١) إحياء علوم الدين ٤ / ٧٢ .

أم يتناول بعضها مقصوداً ، وبقية المعانى تكون من توابعه ولوازمه ؟ ولسنا نقصد فى هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات » (١) .

والذى أقصده من تعريف الشكر اصطلاحاً إنما هو اصطلاح القرآن الكريم ، لأن هذه الدراسة تتناول الشكر من وجهة نظر القرآن ذاته ، ويدخل فيها السنة التى تؤكد القرآن أو تفسره قولاً ، وكذلك فعل النبى – صلى الله عليه وسلم – ، إذ هو التفسير العملى التطبيقى لآيات القران الكريم .

وعلى ضوء ما ذكرته فإنى سأعرض لأقوال العلماء فى تعريف الشكر اصطلاحاً ، ثم أرجح ما أراه – من وجهة نظرى – راجحاً ، أو أصنع تعريفاً للشكر فى اصطلاح القرآن من خلال آيات القرآن الكريم ، والسنة القولية أو الفعلية التى تؤكد القرآن ، أو تفسره ، وإليك أهم هذه التعريفات :–

١ – « تصور النعمة وإظهارها » (٢) ، ومعنى تصور النعمة معرفة كونها نعمة ، وأما إظهار النعمة فيكون باللسان تحدثاً بها ، وبالعمل تواضعاً وخضوعاً للمنعم ، ويكون بالجوارح ، وذلك باستعمالها فيما يحب المنعم .

٢ – الامتلاء من ذكر المنعم (٣) ، أى بكثرة الثناء عليه .

٣–الاجتهادفى بذل الطاعة مع الاجتناب للمعصية فى السر والعلانية (٤)

---

(١) إحياء علوم الدين ٤ / ٧٤ .

(٢ ، ٣) مفردات ألفاظ القرآن / ٤٦١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٣٩٨ .

وهذا كله من عمل الجوارح .

٤ - « العجز عن الشكر » (١) وهذا اعتقاد قلب .

٥ - « ألا يعصى الله بنعمه » (٢) وهذا عمل قلب وجارحة .

٦ - « التواضع والمحافظة على الحسنات ، ومخالفة الشهوات ، وبذل الطاعات ، ومراقبة جبار الأرض والسماوات » (٣) ، وهذا كسابقه .

٧ - « الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع » (٤) ، وهذا فعل اللسان مع بعض أعمال القلب .

٨ - « الثناء على المحسن بذكر إحسانه » (٥) ، وهذا عمل لسان فقط .

٩ - « ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافاً ، وعلى قلبه شهوداً ومحبة ، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة » (٦) وهذا يشمل القلب واللسان والجوارح .

١٠ - « عكوف القلب على محبة المنعم ، والجوارح على طاعته ، وجريان اللسان بذكره ، والثناء عليه » (٧) ، وهذا كسابقة يشمل الثلاثة مع زيادة معنى المداومة المفهومة من معنى العكوف .

(١، ٢) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٣٩٨ ، ومدارج السالكين ٢ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٣٩٨ .
(٤ ، ٥) إحياء علوم الدين ٤ / ٧٤ ، ومدارج السالكين ٢ / ٢٥٤ .
(٦) مدارج السالكين ٢ / ٢٥٤ .
(٧) مدارج السالكين ٢ / ٢٥٤ .

١١ - « مشاهدة المنة ، وحفظ الحرمة » (١) ، وهذا تعريف لطيف مع وجازته ، وقلة ألفاظه .

١٢ - « معرفة العجز عن الشكر » (٢) وهذا يقتصر على جانب واحد ، وهو المتعلق بالقلب .

١٣ - « إضافة النعم إلى موليها بنعت الاستكانة له » (٣) ، وهذا يشمل عمل القلب وجانباً من عمل اللسان ، وعملاً من أعمال الجوارح .

١٤ - « قيد النعم الموجودة ، وصيد النعم المفقودة » (٤) ، وهذا التعريف يذكر أهم ثمرات الشكر ، وجماعها .

وقفة مع هذه التعريفات :-

والناظر فى هذه التعريفات يتحقق من كلام الإمام الغزالى السابق عن تعريفات العلماء للشكر ، وأنها قاصرة عن الإحاطة بكمال معانيه ، وإن كان لنا بد من اختيار تعريف أو أكثر منها ، فإنى أرى بفكرى القاصر - والله أعلم - أن التعريفات الثلاثة التاسع والعاشر والحادى عشر أجمعها ، وثالثها أجمع

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ٢٥٤ .

(٢) مدارج السالكين ٢ / ٢٥٤ .

(٣) مدارج السالكين ٢ / ٢٥٤ .

(٤) مدارج السالكين جـ٢ / ٢٥٥ .

الثلاثة ، وأحسن إيجازاً – أما الأول والثاني فلاشتمالهما على الشكر بالعمل قلباً ولساناً وجارحة ، وسأفصل القول في ذلك عما قريب إن شاء الله تعالى .

وأما الثالث فلقلة ألفاظه من ناحية ، ولكونه كسابقية يشتمل على شكر القلب واللسان والجارحة ، وذلك في قوله وحفظ الحرمة ، فحفظ الحرمة إنما يكون بالقلب اعتقاداً ، وباللسان ذكراً ، وبالجوارح عملاً ، وأما قوله مشاهدة المنة فقد صرح به التعريف الأول ، و « على قلبه شهوداً ومحبة » وأشار إليه التعريف الثاني « عكوف القلب على محبة المنعم » ، لأن محبة المنعم لازم من معرفة نعمته وشهودها ، أو أثر مترتب على ذلك . وإن جاز لمثلي أن يضع تعريفاً مختصراً جامعاً مانعاً ، وذلك في ميدان العلم الشرعي مجازفة ، فإني أقول : الشكر في اصطلاح القرآن هو :–

العلم بنعمة الله عليه ، وحفظ حرمة المنعم .

فأما العلم بنعمة الله فيشمل العلم بكونها نعمة ، وبكونها من الله ، وبكونه منعماً عليه بها ، وذلك يورث الحب والفرح .

وأما حفظ حرمة المنعم فيكون بالقلب اعتقاداً ومحبةً ، ويكون باللسان اعترافاً وثناء ، ويكون بالجوارح طاعة وانقياداً .

ثالثاً :-

العلاقة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي :-

الناظر فى تعـريف الشكر لغـة واصـطلاحاً يجـد بينـهمـا وشـيـجـة كـبـرى ، وعـروة وثقى ، ألا وهـى الكثـرة والزيادة والنمـاء أو ظهـور ذلك (١) .

---

(١) انظر عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين صـ ١٧٧ .

المبحث الثاني : العلاقة بين الحمد والشكر

أكثر المفسرون من الكلام عن العلاقة بين الحمد والشكر والفرق بينهما ، وذلك في أول تفسير سورة الفاتحة .

فمن العلماء من جعلهما بمعنى واحد ، وعلى هذا فالعلامة بينهما الترادف ، ومنهم من جعلهما يلتقيان في معنى ، وينفرد كل واحد من الحمد والشكر بمعنى ، وعلى هذا فالعلاقة بينهما العموم والخصوص الوجهي ، إلى غير ذلك من أقوالهم ، وسأذكر أقوالهم (١) مختصرة واضحة بإذن الله تعالى .

ذهب فريق من العلماء إلى أن الحمد والشكر بمعنى واحد ، فبينهما ترادف ، أو بعبارة أخرى يوضع كل لفظ منهما موضع الآخر .

وذهب فريق آخر إلى أن الحمد أعم من الشكر ، فبينهما عموم وخصوص مطلق ، لأن الحمد فيه معنى الشكر ومعنى المدح ، ولأن الحمد يوضع موضع الشكر ، ولا يوضع الشكر موضع الحمد .

وذهب فريق ثالث إلى أن الحمد يختص بالأقوال ، والشكر يختص

---

(١) انظر هذه الأقوال في جامع البيان للطبري ١ / ٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١ / ١٣٣ ، ١٣٤ ، والكليات لأبي البقاء الكفوي صـ ٣٦٥ - ٣٦٨ ، وعناية القاضي ١ / ١١٩ - ١٢٢ ، وروح المعاني للآلوسي ١ / ١١٩ - ١٢١ ، وتدبر أسرار التنزيل للدكتور جوده المهدي ١ / ٥٤ - ٥٨ ، وانظر أيضاً عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم صـ ١٧٩ ، ١٨٠ ، ومدارج السالكين له ٢ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

بالأفعال ، ويرد على ذلك أن القول هو فعل اللسان ، فبينهما على هذا عموم وخصوص مطلق .

وذهب فريق رابع إلى أن سبب الحمد أعم من سبب الشكر ، وأن متعلق الشكر أو ما به الشكر أعم مما به الحمد ، وبيان ذلك أن ما يحمد عليه ربنا تعالى أعم مما يشكر عليه ، فإنه يحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه ، ولا يشكر إلا على نعمه التى هى بعض أفعاله ، وكذلك فإنه يشكر بالقلب واللسان والجوارح ، لكنه يحمد بالقلب واللسان فقط ، وعلى هذا فبينهما عموم وخصوص وجهى ، يتفقان فى بعض السبب وبعض ما يقعان به ، وينفرد الحمد ببقية السبب ، وينفرد الشكر ببقية ما يقع به ، ولبيان ذلك بعبارة أخرى أقول : قال أصحاب هذا الرأى : الحمد مورده خاص ، وهو اللسان ، ومتعلقه عام ، وهو الفضائل - أى الصفات الذاتية - ، والفواضل - وهى الصفات أو النعم المتعدية - ، أما الشكر فمورده عام وهو القول والفعل والاعتقاد ، ومتعلقه خاص ، وهو الفواضل فقط .

والذى يؤكد عدم ترادفهما - أعنى الحمد والشكر - ترادفاً تاماً ، ضد كل منهما ، فضد الحمد الذم ، وضد الشكر الكفر ، والله أعلم .

المبحث الثالث : معنى الشاكر والشكور في أسماء الله الحسنى

يرى القرطبي رحمه الله أن معنى شكر الله عباده قبول عملهم الخالص القليل ، وإعطاءهم عليه الثواب الجزيل (١) ، وقد روعي في هذه التسمية معنى الزيادة ، فإذا كان الشكر يستجلب المزيد من النعم ، فكذلك العمل الصالح ، يعطي عليه الله ثواباً زائداً عما يقابل العمل ، فالحسنة بعشر أضعافها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، لا نهاية لها ، ولا حد لمنتهاها .

ويرى الغزالي رحمه الله أن شكر الله عباده يشمل مضاعفة الله الأجر وزيادته في الآخرة ، وثناء الله على عباده ، وغير ذلك ، يقول رحمه الله : « الشكور - أي في أسماء الله تعالى - هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات ، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيماً في الآخرة غير محدود ، ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال له ، : شكر تلك الحسنة ، ومن أثنى على المحسن يقال له أيضاً : إنه شكر ، فإن نظرت إلى معني الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا الله عز وجل ، لأن زياداته في المجازاة غير محصورة ولا

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٤٢٧ ، ١٤ / ٣٤٥ .

محدودة ، ذلك أن نعيم الجنة لا آخر له ، وإن نظرنا إلى معنى الثناء فإن ثناء كل مثن يكون على فعل غيره ، والرب عز وجل إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه ، لأن أعمالهم من خلقه ، فإن كان الذى أعطى فأثنى شكوراً ، فالذى أعطى وأثنى على المعطى أحق بأن يكون شكوراً ، ومن ثنائه عز وجل على عباده قوله سبحانه ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ﴾ (١) ، فذلك وما يجرى مجراه عطية منه سبحانه » (٢) .

وقد لخص أبو البقاء الكفوى هذا المعنى بقوله : الشكر من الله المجازاة والثناء الجميل (٣) .

ويرى ابن منظور أن شكر الله تعالى لعباده هو مغفرته لهم ، وإنعامه عليهم ، وجزاؤه بما أقامه من العبادة (٤) .

ويرى آخرون أن شكر الله تعالى لعباده إنما يكون بمضاعفة الأجر ، ويكون كذلك بمغفرة الكثير من الوزر (٥) .

---

(١) سورة الأحزاب / [٣٥] .

(٢) انظر المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى صـ ٩٥ ، ٩٦ بتصرف يسير ، وانظر روح المعانى ٥ / ٢٦٤ .

(٣) الكليات صـ ٥٣٤ .

(٤) انظر نضرة النعيم ٦ / ٢٣٩٤ .

(٥) انظر نضرة النعيم ٦ / ٢٣٩٤ .

والحق أن تسمية الله نفسه شاكراً وشكوراً ، أو وصفه نفسه سبحانه بذلك يشمل كل ما ذكر وأكثر ، فهو يعم عطاء الدنيا وعطاء الآخرة بكل ما يتصور فيهما ، مما يتناسب مع صفات الجلال والكمال والجمال الإلاهى ، أو يتناغى ويتناغم وعطاء الربوبية والألوهية ، وهو الذى لا حد له ولا نهاية ، كما وكيفا ، زماناً ومكاناً ، دنيا وأخرى ، والله أعلم .

تحدث كثير من العلماء عن العلاقة بينهما ، وأيهما أفضل من الآخر ، وذكروا فى ذلك كلاماً طويلاً ليس محله هذا الكلام المختصر .

لكنه المحصلة التى انتهى إليها المحققون من العلماء أن الشكر يتضمن الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية ، لأن تمام شكر النعم إنما يكون ببذل الطاعة وترك المعصية ، وكل من الشكر والصبر يستلزم الآخر ، فمتى ذهب أحدهما ذهب الآخر ، فمن كان فى نعمة فالواجب عليه الشكر والصبر معاً ، أما الشكر على تلك النعمة فواضح ، وأما الصبر فعلى الطاعة وعن المعصية كما ذكرت ، ومن كان فى بلية فالواجب عليه الصبر والشكر كذلك ، أما الصبر عليها فواضح ، وأما الشكر فمن وجوه عدة ، منها : أنها كانت فى دنيا ، ولم تكن فى دين ، ومنها : أنهما لم تكن أكبر منها حين وقعت ، ومنها : أنها كانت فى الدنيا ، ولم تكن فى الآخرة ، لأن كل مصيبة وبلية فبذنب ، وعقوبة الدنيا أهون من عقوبة الآخرة ، ومنها : أن ثوابها أعظم منها وأكثر وأدوم ، إلى آخر هذه النعم التى توجد فى طيات البلاء ، ومعه ، وبعده .

وهذا بصفة عامة ، لكن بالنسبة لآحاد الأمة فقد يكون الشكر للبعض

أعظم من الصبر ، وقد يكون الصبر للبعض الآخر أفضل من الشكر ، وبالنسبة للأوقات فقد يكون أحدهما أعظم وأفضل من صاحبه للفرد الواحد فى وقت دون وقت ، وهكذا .

والذى أميل إليه فى الجملة أن الشكر أفضل من الصبر ، وأكثر منه وأعظم ويدل على ذلك أمور :-

١ - أنه لا يخلو أحد من نعمة ، بخلاف البلايا والمصائب ، فقد يخلو منها البعض .

٢ - مع تصور وجود البلايا ، فإن النعم أكثر من أن تحصى ، وأعم وأشمل ، فهى لا تستقصى ، لكن البلايا مهما كثرت فى عين صاحبها أو، عظمت ، فهى بجانب النعم قطرة فى بحر ، وحبة رمل فى صحراء .

٣ - كل بلية تحمل فى ثناياها نعماً عظيمة لا تعد ولا تحصى ، يقول الشاعر فى وصف فضل الله تعالى عليه :

إذا مس بالسراء عم سرورها

وإن مس بالضراء أعقبها الأجر .

وما منهما إلا له فيه منة

تضيق بها الأوهام والبر والبحر .

٤ - كل نعمة تستوجب الشكر ، وليس كذلك البلايا والمصائب ، فإن الكفر مصيبة ، والكبيرة كذلك ، ولا يجب الصبر على مثل ذلك ، بل يجب تركه ، والتحول عنه إلى الإيمان والطاعة .

٥ - أمر النبى - صلى الله عليه وسلم - ألا نسأل الله البلاء ، أيا كان نوعه ، وإنما أمر أن نسأل الله العافية من البلاء فى الدين والدنيا والآخرة .

٦ - ويترتب على ما سبق أن النعمة أفضل من البلوى ، والنعمة سبب الشكر ، والبلايا سبب الصبر فى الغالب (١) .

وأما على التفصيل فالذى أميل إليه أن ذلك يختلف باختلاف حال المسلم وزمانه ومكانه وغير ذلك ، والله أعلم .

---

(١) انظر فى ذلك إحياء علوم الدين ٤ / ١١١ - ١٢٣ ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين صـ ١٣٢ - ١٩٢ ، فتح البارى ١١ / ٣٠٥ ، وغير ذلك .

للشكر أهمية عظمى ، ومكانة سميا ، ومنزلة عليا ، وفائدة كبرى ، وأهله هم خواص الله من خلقه ، وأصفياؤه منهم ، فهم بين الناس قلة ، ومع ذلك فهم أرفعهم قدراً ، وأعلاهم منزلة .

والمتتبع لآيات القرآن ، المتأمل فيها ، والمتدبر إياها تتراءى له هذه الحقيقة واضحة جلية ، وتشرق له شمسها وذلك من خلال أمور كثيرة ، أشير إلى أهمها وأبرزها فيما يلي :-

١ - كثرة ذكر القرآن له وحديثه عنه ، فقد ذكر القرآن مشتقات لفظ هذه المادة خمساً وسبعين مرة ، وذلك فى نحو سبعين آية ، أما ذكره بالمعنى كالحمد ونحوه ، أو ذكره بضده كالكفر بأنعم الله - ونحو ذلك فكثير كثرة أنى لمثلى أن يحصيها ، أو يحيط بها .

٢ - وجوبه وجوباً عينياً على كل مسلم ومسلمة ، بل إن شئت فقل : على كل مكلف من الإنس والجن ، مؤمناً كان أو كافراً ، فقد أمر الله به ، ونهى عن ضده ، والمتبادر من الأمر الوجوب ، ومن النهى التحريم ، ما لم يصرفهما عن الوجوب أو التحريم صارف ، والتبادر آية الحقيقة ، يقول تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢) ﴾ (١) ، ويقول

(١) سورة البقرة آية (١٥٢) .

سبحانه ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾ (١) ، ويقول جل وعلا ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) ﴾ (٢) ، ويقول عز وجل ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ (٣) ويقول تقدست أسماؤه ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ (٤) .

٣ - كونه داعياً ودافعاً لإيمان الكفار ، لأن المنعم أولى بالشكر من غيره، ومن أول واجبات الشكر إفراد الخالق المنعم بتوحيده ، وشكره على كل نعمه ، دون سواه ، يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣) ﴾ (٥) ، أى اذكروا نعم الله عليكم لتشكروها ، ثم قسم الله النعم إلى نعم الإيجاد (الخلق) ثم الإمداد والبقاء (الرزق) مبيناً أنه لا يوجد منعم غير الله ، وعليه فلا إله سواه ، فكيف يصرف الناس عن عبادته وشكره إلى أى شيئ سواه (٦) .

٤ - مقابلة القرآن بين الشكر والكفر فى كثير من آياته ، يقول تعالى

---

(١) سورة البقرة [١٧٢] .
(٢) سورة النحل [١١٤] .
(٣) سورة العنكبوت [١٧] .
(٤) سورة سبأ [١٥] .
(٥) سورة فاطر [٣] .
(٦) انظر إرشاد العقل السليم ٧ / ١٤٢ ، وروح المعانى ٢٢ / ٢٤٤ - ٢٤٦ -

﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (١) ، ويقول جل وعلا ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٢) ، ويقول سبحانه حكاية عن سليمان عليه السلام ﴿ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٣) ، ويقول عز وجل ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (٤) ، ويقول عز اسمه ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (٥) ، ويقول جل شأنه عن الإنسان ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (٦) .

٥ - اقتران الشكر بالإيمان ، وذكره معه ، وجعلهما معاً سبباً فى دفع العذاب ومنعه ، يقول سبحانه ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ (٧) .

٦ - جعل الله تعالى كفر النعمة وعدم شكرها سبباً فى وجود الجوع والخوف فى المجتمع ، يقول عز وجل ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً

---

(١) سورة البقرة [١٥٢] .
(٢) سورة إبراهيم [٧] .
(٣) سورة النمل [٤٠] .
(٤) سورة لقمان [١٢] .
(٥) سورة الزمر [٧] .
(٦) سورة الإنسان [٣] .
(٧) سورة النساء [١٤٧] .

﴿ مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112) ﴾ (١) .

٧ – فسر الله الحكمة به ، فقال عز وجل ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ (٢) .

٨ – جعله الله علامة على صدق العبادة ، يقول الله تعالى ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172) ﴾ (٣) ، ويقول عز وجل ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (114) ﴾ (٤) .

٩ – جعله الله سبباً للمزيد من فضله ، وحارساً وحافظاً لنعمته من الزوال ، يقول سبحانه ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7) ﴾ (٥) .

١٠ – أمر الله به خواص خلقه ، وأثنى عليهم به ، قال تعالى آمراً نبيه موسى عليه السلام ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (144) ﴾ (٦) ، وقال سبحانه آمراً نبينا – صلى الله عليه وسلم – ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ

---

(١) سورة النحل [١١٢] .
(٢) سورة لقمان [١٢] .
(٣) سورة البقرة [١٧٢] .
(٤) سورة النحل [١١٤] .
(٥) سورة إبراهيم [٧] .
(٦) سورة الأعراف [١٤٤] .

الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (١) ، وأثنى على نبيه نوح عليه السلام بقوله ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (٢) ، وكذلك أثنى على أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام بقوله ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ﴾ (٣) .

١١ - سمى الله نفسه باسمين مشتقين منه ، شاكر ، وشكور ، قال تعالى ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (٤) ، وقال عز وجل ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ (٥) ، وقال سبحانه ﴿ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٦) ، وقال جل وعلا على لسان أهل الجنة ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٧) ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٨) ، وقال سبحانه ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (٩) ، وسمى الشاكرين بهذين الاسمين ، فسماهم باسمه ، وأعطاهم من وصفه ، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلاً (١٠) .

---

(١) سورة الزمر [٦٦] .
(٢) سورة الإسراء [٣] .
(٣) سورة النحل [١٢٠ ، ١٢١] .
(٤) سورة البقرة [١٥٨] .
(٥) سورة النساء [١٤٧] .
(٦) سورة فاطر [٣٠] .
(٧) سورة فاطر [٣٤] .
(٨) سورة الشورى [٢٣] .
(٩) سورة التغابن [١٧] .
(١٠) انظر مدارج السالكين ٢ / ٢٥٣ .

١٢ – وعد الله أهله بالجزاء منه سبحانه ، فقال تعالى ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (١) ، وقال عز وجل ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (٢) .

١٣ – جعله الله سبباً للنجاة فى الدنيا من العذاب والهلاك ، فقال سبحانه ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٣) .

١٤ – جعل الله الشاكرين قلة ، فإن قلنا إن المؤمنين قلة ، فيحتمل أن يراد أن المؤمنين هم الشاكرون ، فكلاهما قليل ، وإن قلنا إن الشاكرين قليل من المؤمنين ، فهم قليل من قليل ، يؤيد الأول قوله تعالى ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ (٤) ، وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٥) ، وقوله جلا وعلا ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٦) ، ويؤيد الثانى قوله تعالى ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ (٧) ، لا سيما إذا قلنا إن القرآن لا يطلق لفظ العباد فى الدنيا إلا على المؤمنين ،

---

(١) سورة آل عمران [١٤٤] .
(٢) سورة آل عمرن [١٤٥] .
(٣) سورة القمر [٣٣ ، ٣٥] .
(٤) سورة البقرة [٢٤٣] ، وسورة يوسف [٣٨] ، وسورة غافر [٦١] .
(٥) سورة يونس [٦٠] .
(٦) سورة النمل [٧٣] .
(٧) سورة سبأ [١٣] .

خاصة إذا أضيف إلى الله تعالى أو إلى ضمير يعود عليه سبحانه (١) ، وما شذ عن ذلك فبدليل يخرجه عن هذا الأصل ، وقلة أهل الشكر فى العالمين تدل على أنهم هم خواصه (٢) .

١٥ - جعل الله أهله هم الذين ينتفعون بالآيات ، فقال تعالى ﴿ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٣) ، وقال سبحانه ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ (٤) .

١٦ - رضى الله عن عباده بسبب شكرهم ، فقال عز وجل ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (٥) .

١٧ - جعل الشيطان غاية وسوسته وإغوائه الناس هى إبعادهم عن الشكر ، قال تعالى حاكياً قول إبليس ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٦) .

١٨ - جعل الله أول وصية وصى بها الإنسان بعد ما عقل عنه هى شكر الله وشكر الوالدين ، فقال عز اسمه ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ

---

(١) انظر الكليات صـ ٦٤٩ .
(٢) انظر مدارج السالكين ٢ / ٢٥٣ .
(٣) سورة الأعراف [٥٨] .
(٤) سورة إبراهيم [٥] ، وسورة سبأ [١٩] ، وسورة الشورى [٣٣] .
(٥) سورة الزمر [٧] .
(٦) سورة الأعرف [١٦ ، ١٧] .

وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١)

١٩ – قرن الله بين ذكره وشكره ، وذكر الله ذكر للمنعم ، يقول تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (٢) .

٢٠ – بين الله تعالى أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين سائر الناس ، يقول تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (٣) .

٢١ – جعل الله الشكر غايته من الخلق ، يقول تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٤) .

٢٢ – علق الله كثيراً من جزاء الأعمال على مشيئته ، فقرن جزاءها بالاستثناء ، لكنه أطلق جزاء الشكر إطلاقاً ، ولم يستثن فيه ، حين قطع بالمزيد مع الشكر مؤكداً ذلك بالقسم الذى دلت عليه اللام الموطئة للقسم

---

(١) سورة لقمان [١٤] وانظر عدة الصابرين صـ ١٤٠ .
(٢) سورة البقرة [١٥٢] .
(٣) سورة الأنعام [٥٣] .
(٤) سورة النحل [٧٨] .

الداخلة على الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد ، يقول تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (١) ، وأما تعليقه كثيراً من الأمور على المشيئة ففى مثل قوله عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (٢) ، ويقول سبحانه ، ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾ (٣) ، ويقول جل وعلا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧ ﴾ (٤) ، ويقول تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ﴾ (٥) ويقول تعالى ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ ﴾ (٦) ، فاستثنى فى المغفرة والتوبة والرزق والغنى والإجابة .

٢٣ - جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة وختام دعائهم يقول تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (٧) ، ويقول تقدست أسماؤه ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠ ﴾ (٨) ، ويقول

---

(١) سورة إبراهيم [٧] .
(٢) سورة النساء [٤٨ ، ١١٦] .
(٣) سورة التوبة [١٥] .
(٤) سورة آل عمرن [٣٧] .
(٥) سورة التوبة [٢٨] .
(٦) سورة الأنعام [٤١] .
(٧) سورة الأعراف [٤٣] .
(٨) سورة يونس [١٠] .

سبحانه ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) ﴾ (١) ، ويقول عز اسمه ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) ﴾ (٢) .

إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التى تحدث عنها القرآن الكريم ، والتى تدل على أهمية الشكر ، وعظيم فضله ، وجليل نفعه (٣) .

---

(١) سورة فاطر [٣٤ ، ٣٥] .

(٢) سورة الزمر [٧٤] .

(٣) ذكر بعض هذه الأمور أو أشار إليها الغزالى فى إحياء علوم الدين ٤ / ٧٠ ، ٧١ ، وابن القيم فى مدارج السالكين ٢ / ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، وفى عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين صـ ١٣٨ - ١٤١ ، والفيروز ابادى فى بصائر ذوى التمييز ٣ / ٣٣٥ - ٣٣٧ ، وغيرهم .

المبحث السادس: قواعد الشكر وأركانه

ترددت كثير وأنا أخط هذا العنوان ، إذ من العلماء من يجعلهما أقساماً ومنهم من يسميها أركاناً ، ومنهم من يراها قواعده ، وأسسه ، ومنهم من يعدها أجزاءه وأبعاضه ، إلى غير ذلك .

وهم مع ذلك لهم اعتبارات مختلفة في تقسيماتهم ، لا تخلو أكثرها من نظر ، وها أنا ذا أذكر أقوالهم ، ثم أعلق عليها ، وبعد ذلك أرجح ما أختار بالدليل إن شاء الله تعالى .

أغلب العلماء على تقسيم الشكر إلى شكر بالقلب واللسان والجوارح (١) وأصرح وأجمع تقسيم لذلك هو تقسيم ابن القيم في تعريفه للشكر ، حيث قال : « هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده : ثناء واعترافاً ، وعلى قلبه : شهوداً ومحبة ، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة (٢) ، وهذه ثلاثة باعتبار جهة الشكر وآلته ، وليس باعتبار العمل ، لكنها باعتبار العمل خمسة : علم (شهود) ، وحب ، واعتراف ، وثناء ، وطاعة أو انقياد .

وعلى هذا جعلها بعض العلماء خمس قواعد ، أو خمسة أسس ، خضوع الشاكر للمشكور ، وحبه له ، واعترافه بنعمته ، وثناؤه عليه بها ، وألا

---

(١) أول من ذكر ذلك فيما وقفت عليه الراغب في مفردات ألفاظ القرآن صـ ٤٦١ .
(٢) مدارج السالكين ٢ / ٢٥٤ .

يستعملها فيما يكره (١) ، وهذه الخمس مثل سابقتها في العدد ، لكنها نقصت عنها ، وزادت عليها ، نقصت العلم الذي يعبر عنه بالشهود ، وزادت الخضوع الذي يتضمن الانقياد والطاعة ، فالمحصلة ست لا خمس .

وجعلها بعضهم ثلاثة باعتبار العمل لا باعتبار الجهة والمحل ، أو باعتبار أسبقيتها في الوجود ، أو باعتبار ترتيب كل واحدة منها على الأخرى ، أو كون كل واحدة سبباً في الأخرى ، هاك تفصيل هذا الإجمال وبيانه :-

قال الهروي في منازل السائرين : « ومعاني الشكر ثلاثة أشياء ، معرفة النعمة ، ثم قبولها ، ثم الثناء بها (٢) ، وقال الهروي أيضاً : « وهو على ثلاث درجات ،

الدرجة الأولى: الشكر على المحاب ، ....

الدرجة الثانية: الشكر على المكاره ، ....

الدرجة الثالثة: ألا يشهد العبد إلا المنعم ، ...... » (٣) .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ٢٥٤ ، بصائر ذوي التمييز ٣ / ٣٣٧ .
(٢) مدارج السالكين ٢ / ٢٥٨ .
(٣) مدارج السالكين ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٥ ، بتصرف واختصار .

وقال الغزالى فى ذلك : « اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين ، وهو ينتظم من علم وحال وعمل ، فالعلم هو الأصل ، فيورث الحال ، والحال يورث العمل ، فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم ، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه ، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ، ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ، ولا بد من بيان جميع ذلك ، ليحصل بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر (١) .

ثم أخذ يشرح كلامه ويفصله ، فتكلم عن العلم ، وبين أنه يشمل بعين النعمة ، وكونها نعمة فى حقه ، وبالمنعم عليه بها ، وبأن النعم كلها من الله ، فهو المنعم الحقيقى ، والوسائط مسخرون من جهته .

ثم تكلم عن الحال المستمدة من العلم ، وبين أن ذلك عبارة عن الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع .

وتكلم بعد ذلك عن العمل بموجب ذلك الفرح الحاصل من معرفة المنعم ، وذكر أن هذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح ، أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق ، وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها عن معصيته (٢) .

---

(١) إحياء علوم الدين ٤ / ٧٢ .
(٢) انظر إحياء علوم الدين ٤ / ٧٢ – ٧٤ .

والناظر المتأمل فى تقسيمات العلماء يدرك أن تقسيم الإمام الغزالى أدق هذه التقسيمات وأشملها ، بل إنه - رحمه الله - قد سبق علماء النفس وغيرهم بتقسيمه هذا إلى علم وحال وعمل ، وهو ما يطلقون عليه : الإدراك والوجدان والنزوع أو السلوك .

وسأتحدث عن هذه القواعد أو الأركان أو الأصول بنوع تفصيل فأقول :-

ويشمل العلم بالنعمه والمنعم ، والمنعم عليه بها ، ويشمل كذلك العلم بأن كل النعم التى تصل إلى الخلق إنما هى من عند الله وحده ، لا شريك له فى إنعامه ، وأن إنعام غيره - إن وجد - إنما هو بتسخير الله له ، ليكون واسطة فى إيصال نعمة الله لك .

والقرآن الكريم قد فصل فى بيان ذلك للناس جملة وتفصيلاً ، أما جملة ففى مثل قوله تعالى **﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾** (١) ، وقوله سبحانه **﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾** (٢) ، وقوله جل وعلا **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** (٣) .

فهذه الآيات وغيرها تبين هذه الحقيقة وتؤكدها ، فقد جاء لفظ النعمة فى الآية الأولى نكرة فى سياق الشرط ، أو فى سياق الموصول المتضمن معنى الشرط ، وكل منهما يفيد العموم ، فيكون المعنى : أن كل شئ يلابسكم أو يصاحبكم من نعمة أى نعمة كانت فى نظركم ، حقيرة أو جليلة ، فهى من

(١) سورة النحل [٥٣] .
(٢) سورة لقمان [٢٠] .
(٣) سورة فاطر [٣] .

الله تعالى ، لا يشركه فيها أحد .

وجاء لفظ النعمة فى الآيتين الثانية والثالثة مفرداً مضافاً ليفيد العموم كذلك ، وصدرت الآية الثانية بقوله (ألم تروا) أى ألم تعملوا علماً هو فى ظهوره ووضوحه ، كالمشاهدة ، أى اعلموا ذلك ، وتسخير الله كل ما فى السموات وما فى الأرض للناس عامة نعم عظمى ، ولا تقف هذه النعم عند حد الاحتياج ، إنما جاءت هذه النعم سابغة مسبغة ، أى تامة كاملة فاضلة عن الحاجة ، فالاسباغ هو ما يفضل عن قدر الحاجة ، ولا تحتاج معه إلى زيادة ، وهذه النعم منها ما هو ظاهر واضح بين لنا ، ومنها ما هو باطن خفى مستتر عنا ، لا يظهر أصلاً ، أو يظهر مع التأمل والتدبر ، والتدقيق والتحقيق .

وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى وشعبة من السبعة (وأسبغ عليكم نعمة) بسكون العين ونصب الكلمة وتنوينها على الإفراد ، إما على إرادة الجنس ، كما فى قوله تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (٢) ، وإما على إرادة الكثرة ، لأنها وإن كانت نكرة فى سياق الإثبات لا النفى إلا أنها جاءت فى معرض الامتنان فتفيد العموم كذلك ، وإما على إرادة أنها

(١) انظر نظم الدرر ٤ / ٢٧٨ ، وروح المعانى ١٤ / ٢٤٣ ، ٢٤٤ .
(٢) سورة إبراهيم [٣٤] ، وسورة النحل [١٨] .

نعمة عظمى ، ومنة كبرى ، فالمراد بها الإيمان أو التوحيد فى الدنيا ، ودخول الجنة فى الآخرة (١) .

وصدرت الآية الثالثة بالأمر بذكر نعم الله تعالى فى الإيجاد والإمداد ، أى لا تغفلوا عن ذلك لتشكروا الله عليه ، ولذلك يقول المفسرون إن معنى الذكر فى الآية هو الشكر ، أى راعوا هذه النعم واحفظوها بمعرفة حقها ، والاعتراف بها ، وتخصيص العبادة والطاعة بموجدها ومواليها سبحانه وتعالى ، وذكر نعم الله تعالى بالقلب واللسان جانب عظيم من جوانب الشكر يدعو القرآن الناس إليه (٢) .

---

(١) انظر لطائف الإشارات ٣ / ١٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٧٣ ، ونظم الدرر ٦ / ٢٤ ، وروح المعانى ٢١ / ١٤٠ - ١٤٢ .

(٢) انظر الكشاف ٣ / ٢٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٣٢١ ، ونظم الدرر ٦ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، وإرشاد العقل السليم ٧ / ١٤٢ ، وعناية القاضى ٧ / ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، وروح المعانى ٢٢ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

الركن الثانى : الحال (الوجدان) :

والمراد بالحال هنا هو فرح الإنسان بالمنعم وبنعمته ، وليس الفرح بالنعمة بمعزل عن المنعم ، أو مجردة عنه ، ومحل ذلك الفرح هو القلب ، إذ الفرح لذة فى القلب بإدراك المحبوب ، أو بنيل المشتهى (١) ، وهذه اللذة تورث خفة فى القلب ، فينشرح لذلك الصدر (٢) ، يقول الراغب : « الفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة (٣) » .

وإذا كانت لذة القلب تسر صاحبها وتشرح صدره فإن القرآن الكريم أمرنا أن نفرح بعطاء الله وفضله ، لا سيما العطاء الذى لا يفنى ولا يتعكر صفوه ، وهو عطاء النعم المتعلقة بالدين ، والموصلة للجنة ، كالإيمان والقرآن ونصر المؤمنين أو التمكين لهم فى الأرض ، والموت على الإيمان ، والشهادة فى سبيل الله ، وذلك لأن هذه النعم تكون سبباً فى أعظم نعمة ، أو فى تمام النعمة ، وهى النجاة من النار ودخول الجنة ، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (٤) .

أما النعم الدنيويه فأغلب الناس يفرحون بها لذاتها بمعزل عن المنعم ،

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٣٥٤ ، ونظم الدرر ٣ / ٤٥٧ .

(٢) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢ / ٣١٩ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن صـ ٦٢٨ .

(٤) سورة آل عمران [١٨٥] .

بل ومنهم من ينسون المنعم أصلاً ، ولهذا فقد ذم القرآن فرح الناس بالدنيا وبلذاتها المادية ، وبشهواتها الفانية ، خاصة إذا فرح بها الكافر ، لأن فرحه كان بالنعمة دون المنعم ، فلم يثمر ذلك الفرح بالنعمة شكر المنعم بتوحيده وطاعته ، فقال عن قارون مثلا ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)﴾ (١) ، ويؤيد ذلك قوله تعالى بعد ذلك مباشرة ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ (٢) ، فقد نهاه قومه عن الفرح الدنيوى المجرد عن شكر المنعم ، والمتمثل فى عدم طلبه الآخرة ، وعدم إحسانه بما تحمله كلمة الإحسان من عموم الإحسان فى الطاعة ، والإحسان إلى الخلق بالانفاق وعدم الكبر ، والمتمثل كذلك فى إفساده فى الأرض مستخدماً فى ذلك نعم الله له .

ولأجل هذا فقد جعل الله حيثية عذاب الكفار يوم القيامة ، وسبب دخولهم النار هو الفرح فى النعم بالدنيا بغير الحق ، أى بغير شكر المنعم بالإيمان به وطاعته ، يقول سبحانه ﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى

---

(١) سورة القصص [٧٦] .
(٢) سورة القصص [٧٧] .

الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) ﴾ (١) .

والله تعالى يفرق بين فرح الكافر بغير الحق أو بالباطل ، وفرح المؤمن بنعم الدنيا لأنها تعينه على الطاعة ، وبنعم الدين لأنها توصله إلى الجنة ، فأثنى على فرحه بالإيمان والقرآن ، والموت على الإيمان ، والشهادة فى سبيل الله ، وكذلك فرحه بنصر الله وتمكينه أهل الإيمان فى الأرض ، وذلك فى مقام الامتنان ، وسياق الرضى والقبول ، بل أمر بذلك فى كتابه .

يقول تعالى ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)** ﴾ (٢) ، ويقول عز وجل ﴿ **وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ** ﴾ (٣) ، ويقول سبحانه ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)** ﴾ (٤) ، بل أمر جل وعلا بالفرح بنعمة الدين ، كالإيمان والقرآن ، ونحو ذلك ، يقول تقدست أسماؤه ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا**

---

(١) سورة غافر [٧٥ ، ٧٦] .

(٢) سورة آل عمران [١٦٩ ، ١٧١] .

(٣) سورة الرعد [٣٦] .

(٤) سورة الروم [٤ ، ٥] .

يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ (١) .

ومعنى الآية قل لهم افرحوا بفضل الله وبرحمته فيمتثلوا ذلك الأمر فيفرحوا ، أو المعنى : قل لهم ليفرحوا بفضل الله وبرحمته ، أو المعنى قل لهم : أن فرحوا بشئ فبذلك فليفرحوا لا بشئ آخر ، أو المعنى : قل اعتنوا بفضل الله وبرحمته فبذلك وحده فليفرحوا ، لأن ما يفرح به يكون مما يعتنى بشأنه ويهتم به ، ومثله أن يكون المعنى قل اغتنموا بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا (٢) .

وقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾** (٣) ، فمن رأى أن الفضل والرحمة عامة يراد بها الجنس قال إن الفرح يكون بكل فضل الله ورحمته ، ويدخل فيه القرآن دخولاً أوليا ، وذلك بدلالة السياق ، ومن رأى أن ذلك خاص يراد به بعض أنواعه فسره بالإيمان والقرآن ونحو ذلك (٤) ، والله أعلم .

---

(١) سورة يونس [٥٨] .
(٢) انظر روح المعانى ١١ / ٢٠٤ ، ٢٥ .
(٣) سورة يونس [٥٧] .
(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٣٥٣ ، وروح المعانى ١١ / ٢٠٥ .

الركن الثالث : العمل (السلوك) :

وهو يشمل عمل القلب واللسان وبقية الجوارح ، فعمل القلب هو قصد الخير وإضماره لكافة الخلق ، وعمل اللسان هو الاعتراف بنعمة المنعم ، والثناء عليه بها ، وعمل بقية الجوارح هو استعمال نعم الله عز وجل في طاعته ، واجتناب معصيته ، وقد سبق بيان ذلك (١) .

والأصل في ذلك قوله تعالى ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢) .

يذكر المفسرون أن هذه الآية دليل على أن الشكر يشمل عمل القلب واللسان وسائر الجوارح .

وأما معناها فيقدرونه على حسب إعراب قوله (شكراً) ، وفيه عدة وجوه :-

الأول : أن (شكراً) مفعول به على تأويله بمعنى الطاعة ، والمعنى : اعملوا الطاعات التي هي شكر لله سبحانه ، أو اعملوا عملاً هو الشكر ، وسميت الصلاة ونحوها شكراً لسدها مسده ، أو لأن الشكر هو الطاعة ، كما سميت الصلاة إيماناً .

---

(١) انظر ص‍ـ .

(٢) سورة سبأ [١٣] .

الثاني : أن (شكراً) مفعول لأجله ، والمعنى : اعملوا لأجل الشكر وفيه إشارة إلى أن العمل حقه أن يكون للشكر ، لا للرجاء والخوف .

الثالث :- أن (شكراً) مصدر وقع موقع الحال ، والمعنى : اعملوا حال كونكم شاكرين .

الرابع :- أن (شكراً) مفعول مطلق لاعملوا لأن الشكر نوع من العمل ، كقعدت القرفصاء ، أو على تضمين اعملوا معنى اشكروا ، أو على حذف فعله ، والمعنى على التضمين : اشكروا شكراً بعملكم ، أو اعملوا عمل شكر ، والمعنى على الحذف : اعملوا واشكروا شكراً .

الخامس :- أن (شكراً) صفة لمفعول مطلق محذوف ، والمعنى : اعملوا عملاً شكراً .

وعلى كل هذه الأوجه - عدا الأول - يكون المفعول محذوفاً ، أي اعملوا الطاعات وواظبوا عليها شكرا لربكم على ما أنعم به عليكم (١) ، وقد جاءت الآية على هذا السياق لتشمل كل هذه المعاني ، كما أن من فوائد حذف المفعول قصد العموم والشمول .

---

(١) انظر الكشاف ٣ / ٢٥٤ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٢٩ ، وإرشاد العقل السليم ٧ / ١٢٦ ، وعناية القاضي ٧ / ٥٣٠ ، والفتوحات الإلهية ٣ / ٤٦٤ ، وروح المعاني ٢٢ / ١٧٤ ، ١٧٥ .

وأمـا قـوله (وقليل من عبـادى الشكور) فـمـعناه : وقليل من عبـادى المؤمنين الذى يشكر على أحـواله كلهـا ، أى حـال الرخـاء والشـدة ، أو حـال البلاء ، والنعـمـة ، أو الشكور هو المتوفـر على أداء الشكر ، البـاذل وسـعـه فـيـه ، وقـد شـغل بـه قلبـه ولسـانه وجـوارحـه اعـتـقـاداً واعـتـرافـاً وكـدحـاً ، وأكـثـر أوقـاته ، أو الشكور هو من يشكر ويرى شكره تقـصـيـراً ، لأنه يعلم أنه يعجز عن الشكر (١)

وقـد نظـم أحـد الشـعـراء ذلك بالمعنى فى عـدة أبيـات من الشـعـر ، قـال فيها :-

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة

على له فى مثلها يجب الشكر

فكيف وقوع الشكر إلا بفضله

وإن طالت الأيام واتصل العمر

إذا مسى بالسراء عم سرورها

وإن مس بالضراء أعقبها الأجر

وما منها إلا له فيه منة

تضيق بها الأوهاك والبر والبحر (٢)

وإذا أثبت الله أن القائمن بالشكر على أكمل وجه قليل من عباده المؤمنين،

---

(١) انظر الكشـاف ٣ / ٢٦٤ ، وعناية القـاضى ٧ / ٥٣٠ ، ٥٣١ ، وروح المعـانى ٢٢ / ١٧٥ .

(٢) عـدة الصـابرين صـــ ١٥٣ ، وانظر عناية القـاضى ٧ / ٢٣١ ، وروح المعـانى ٢٢ / ١٧٦ .

فكثير من المؤمنين شاكر ، فإن عدم المبالغة لا يعنى عدم الفعل .

وبالجملة فإن قوله تعالى (وقليل من عبادى الشكور) تذييل يفيد التنبيه والتحريض على شكر الله تعالى بالعمل ، لأنه جاء عقب قوله سبحانه (اعملوا آل داود شكرا) .

ولقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن الشكر العملى ، أو عن جانب العمل فى الشكر ، وذلك من خلال أمره أهل الكتاب والمؤمنين ، بل وبعض المرسلين بذكر النعم ، والذكر يكون بالقلب استحضاراً ، ويكون باللسان نطقاً ، وتحديثاً ، وذكر القلب ضده النسيان ، وذكر اللسان ضده السكوت والإنصات ، وفى ضوء ما تقدم يكون ذكر النعمة عبارة عن استحضارها بالقلب والتحدث بها والحديث عنها باللسان ، مع ما يستلزمه ذلك من عمل بقية الجوارح (١) .

يقول تعالى فى أكثر من آية ومخاطباً أهل الكتاب عامة ، أو اليهود خاصة ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (٢) ، ويقول

(١) انظر مفردات ألفاظ القرآن صـ ٣٢٨ ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ١ / ٤٣٧ - ٤٣٩ .

(٢) سورة البقرة [٤٠ ، ٤٧ ، ١٢٢] .

سبحانه حاكياً قول موسى عليه السلام لقومه ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) ، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢) .

ويقول عز وجل مخاطباً هذه الأمة ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾ (٣) ، ويقول جل وعلا ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ (٤) ، ويقول تقدست أسماؤه ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (٥) ، ويقول جل في علاه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ (٦) ، ويقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا

---

(١) سورة المائدة [٢٠] .
(٢) سورة إبراهيم [٦] .
(٣) سورة البقرة [٢٣١] .
(٤) سورة آل عمران [١٠٣] .
(٥) سورة المائدة [٧] .
(٦) سورة المائدة [١١] .

عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (١) .

ويقول سبحانه مخاطباً كل الناس ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾ (٢) .

ويقول عز اسمه مخاطباً رسول الله – صلى الله عليه وسلم ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ (٣) .

والملاحظ فى كل هذه الآيات أن القرآن لا يذكر النعمة بمعزل عن المنعم سبحانه ، إنما يذكرها منسوبة ومضافة إليه (نعمتى التى أنعمت عليكم) ، (نعمة الله عليكم) ، (بنعمة ربك) ، وهكذا .

ويلاحظ أيضاً أن الله تعالى أمر الخلق بذكر النعمة مضافة إلى الاسم الأعظم ، الذى يشعر بالمهابة والخشية ، لأن حال الأكثرين كفران وجحود ، لكنه حين أمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – بالتحدث بنعمته ذكرها مضافة إلى الرب ، الذى يشعر بالحب ، لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أعظم الشاكرين ، وللإشارة إلى أن تربية الله له تربية من نوع خاص ، لم يشركه فيها

(١) سورة الأحزاب [٩] .
(٢) سورة فاطر [٣] .
(٣) سورة الضحى [١١] .

أحد من خلقه .

ويلاحظ كذلك أنه سبحانه أمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – بالتحدث بنعمة ربه ، الإخبار والإعلام ، وذلك ليكثر من ذكرها ،

يقول الألوسى : « وآثر سبحانه (فحدث) على « فخبر » ، قيل : ليكون ذكره – صلى الله عليه وسلم – النعمة حديثاً لا ينساه ، ويوجده ساعة غب ساعة » (١) .

---

(١) روح المعانى ٣٠ / ٢٩٦ ، وانظر الفتوحات الإلهية ٤ / ٥٥٤ .

المبحث السابع : الأسباب التى تصرف الخلق عن الشكر

ذكرت أن الشكر يبدأ بالعلم وينتهى بالعمل مروراً بالحال الذى هو الفرح بنعمة المنعم ، وعليه فأى قصور فى فهم حقيقة الشكر ، أو أى خطأ فى فهم هذه الحقيقة يجعل الإنسان بمعزل عن أصل الشكر ، أو عن تمامه وكماله ، وأرجع الإمام الغزالى قصور الخلق عن شكر النعمة إلى الجهل والغفلة ، وهو ما يمنعهم من معرفة المنعم ، ثم الخطأ فى الفهم ، حيث قصروا الشكر على قولهم بألسنتهم : الحمد لله ، الشكر لله ، ثم غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان (١) .

ولست أذكر هذه الأسباب لمجرد ذكرها وتعدادها فحسب ، إنما أذكرها لأعالجها ، وإذا كان الناس فى كل الأمم والمجتمعات يبحثون عن أسباب الأمراض المادية لكى يوجدوا لها علاجاً ، فإن البحث والتنقيب عن أسباب أمراض القلوب أولى من أمراض الأبدان ، وذلك لكى تذكر أدويتها ، فإن العافية من أمراض القلوب توجد عافية الأبدان تبعاً دلك ، ولذا فإنى سأذكر فى السطور الآتية الأسباب التى تدعو الناس إلى شكر المنعم جل وعلا من خلال آيات القرآن الكريم .

---

(١) انظر إحياء علوم الدين ٤ / ١٠٧ ، ١٠٨ .

المبحث الثامن : الأمور التى تدعو الخلق إلى الشكر :-

١ - التعريف بنعم الله سبحانه :-

والقرآن الكريم يعرف الناس بنعم الله عليهم فى كثير من آياته ، وذلك على سبيل الإجمال أو التفصيل ، أما الإجمال ففى مثل قوله تعالى ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ (١) ، وهذا تعبير يفيد الشمول والكثرة ، حيث ذكر لفظ النعمة مفردا مضافاً إلى لفظ الجلالة ليفيد كثرة النعم من ناحية ، فالمفرد المضاف يفيد الشمول والعموم ، وكذلك ليوجد المهابة فى قلوب الناس والخشية من المنعم ، حتى تدوم نعمه ولا تزول ، وهكذا .

وأيضاً ذكرها الله تعالى فى قوله سبحانه ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ (٢) ، وذلك حتى لا يظن ظان ، أو يتوهم متوهم أن هناك منعماً على الحقيقة غير الله سبحانه .

وكذلك يؤكد القرآن هذا المعنى فى قوله جل وعلا ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ (٣) ، فكل ما فى السموات وما فى الأرض مخلوق من أجلكم ، ومسخر لكم ، وتلك نعم كثيرة وعظيمة ، بعضها ظاهر واضح جلى ، وبعضها مستتر خفى باطن

---

(١) سورة إبراهيم [٣٤] ، وسورة النحل [١٨] .
(٢) سورة النحل [٥٣] .
(٣) سورة لقمان [٢٠] .

دقيق ، قد يظهر بعضه بالتفكر وبالتأمل ، وبعضه بتوالى الأيام والليالى ، وبعضه بتقدم الإنسان فى العلوم المادية ، وهكذا .

وأما على سبيل التفصيل فهذا كثير كثرة بالغة ، يصعب حصرها وتعدادها كصعوبة عد نعم الله وحصرها ، فنلحظ أن أغلب آيات القرآن الدالة على الخلق والرزق تخاطب الناس بقوله تعالى ﴿خلق لكم ﴾ (١) ، وبقوله ﴿جعل لكم﴾ (٢) ، أو ﴿جعل الله لكم﴾ (٣) ، وذلك على كل المعانى التى استخدم لها القرآن لفظ (جعل) ، ويقوله سبحانه ﴿سخر لكم﴾ (٤) أو ﴿وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا﴾ (٥) ، أو ﴿كذلك سخرناها لكم﴾ (٦) ، أو ﴿كذلك سخرها لكم﴾ (٧) ، وقوله عز اسمه

---

(١) سورة البقرة [٢٩] ، وسورة الشعراء [١٦٦] ، وسورة الروم [٢١] .
(٢) سورة البقرة [٢٢] ، وسورة الأنعام [٩٧] ، وسورة يونس [٦٧] ، وسورة النحل [٧٢ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١] ، وسورة طه [٥٣] ، وسورة الفرقان [٤٧] ، وسورة القصص [٧٣ ، ، وسورة السجدة [٩] ، وسورة يس [٨٠] ، وسورة غافر [٦١ ، ٦٤ ، ٧٩] ، وسورة الشورى [١١] وسورة الزخرف [١٠ ، ١٢] ، وسورة الملك [١٥ ، ٢٣] ، وسورة نوح [١٩] .
(٣) سورة النساء [٥] .
(٤) سورة إبراهيم [٣٢ ، ٣٣] ، وسورة النحل [١٢] ، وسورة الحج [٦٥] . وسورة لقمان [٢٠] ، وسورة الجاثية [١٢ ، ١٣] .
(٥) سورة الزخرف [١٣] .
(٦) سورة الحج [٣٦] .
(٧) سورة الحج [٣٧] .

﴿ أنزل من السماء ماء لكم ﴾ (١)، أو ﴿ أنزل لكم من السماء ماء ﴾ (٢) ، أو ﴿ ما أنزل الله لكم من رزق ﴾ (٣) ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل سميت سورة النحل سورة النعم ، وذلك لكثرة ما ورد فيها من تعداد لنعم الله تعالى على الإنسان فى المأكل والمشرب والملبس والمركب وغير ذلك (٤) .

٢ - تعريف الناس نعم الله العامة قبل الخاصة :-

إن الناظر إلى آيات القرآن الكريم يدرك بداهة ولأول وهلة أنه يهتم ببيان النعم العامة ، التى تعم الناس جميعاً ، كنعم الخلق ، خلق السماوات وما فيها ، وخلق الأرض وما فيها ، وما عليها ، ونعم التسخير والتذليل ، تسخير الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والسحاب والفلك التى تجرى فى البحر ، والبحار والأنهار ، والدواب والأنعام ، وغير ذلك مما يصعب حصره أو وصفه ، ونعم الرزق من السماوات والأرض ، ونعمة الماء العذب الفرات ونعمة الحرث ، ونعمة النار ، ونعمة الزوجة الصالحة ، والأولاد والذرية ، وغير ذلك كثير مما يفنى العمر دون بيان أصنافه وأنواعه .

وإنما قلت النعم العامة قبل الخاصة ، لأن الناس تعلم النعم الخاصة

(١) سورة النحل [١٠] .
(٢) سورة النمل [٦٠] .
(٣) سورة يونس [٥٩] .
(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٦٥ ، ونظم الدرر ٤ / ٢٤٣ ، وعناية القاضى ، (حاشية الشهاب) ٥ / ٥٤٥ ، وروح المعانى ١٤ / ١٣٢ .

وتذكرها ، لكنها قد لا تعلم كثيراً من النعم العامة أو تغفل عنها ، ولو نظرنا إلى نعمة الهواء الذى يتنفسه الإنسان ، لو انقطع عن انسان لحظة لاختنق ومات ، ولو نظروا إلى تنفس هذا الهواء ، كيف يدخل إلى الجسد بما يحفظ عليه حياته ، ويخرج السموم من الجسد مع خروجه بما يحفظ عليه حياته وصحته ، لأدركوا عظم نعمة واحدة من النعم العامة ، فكيف بغيرها ، وهى كثير .

٣ - تذكير الناس بنعم الله عز وجل :

وهذا مسلك قرآنى حكيم ، لأن الإنسان كثيراً ما يغفل أو ينسى ، وقد مر بنا أن القرآن الكريم يدعو الناس ، لا سيما المؤمنين منهم ، ويأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم ، وأن يجعلوها حديثهم الذى لا ينقطع ، ولا يفتر .

٤ - تعليم الناس حقيقة الشكر :

إن معرفة الناس حقيقة الشكر وأنه لا يقف عند حد القول باللسان أو حمد الله عز وجل ، أدركوا ما يجب عليهم تجاه هذه النعم الكثيرة من استخدامها فى طاعة الله سبحانه ، والبعد عن معصيته ، أو بعبارة أخرى ، استعمالها فيما يحبه جل وعلا .

٥ - بيان ثمرات الشكر ومنزلة الشاكرين :

إذا عرف الإنسان ثمرات الشكر وفوائده ، وأنه يستجلب المزيد من النعم

، ويدفع عنه الكثير من البلاء والنقم ، وعرف كذلك منزلة الشاكرين ومكانتهم عند ربهم ، دعاه ذلك إلى سلوك سبيله ، والسير على دربه ، والتمسك به .

٦ - **نظر الإنسان فى الدين إلى من هو فوقه** ، وفى الدنيا إلى من هو دونه :

إن الإنسان حين ينظر فى نعم الدين إلى من هو أعلى منه درجة ، وأرفع منه منزلة يجعله يستقل طاعته ، فتزداد همته ، وتقوى عزيمته ، فينتفع بذلك .

وكذلك نظره فى نعم الدنيا إلى من هو دونه ممن حرم نعم الدنيا يدرك فضل الله عليه ، إذ أعطاه من النعم ما حرم منه غيره ، فيعظم النعمة عنده ، ولا يزدريها ، أو يحتقرها ، فإذا رأى الأعمى عرف قيمة نعمة الإبصار ، وإذا رأى الأصم علم قيمة نعمة السمع ، وبالجملة فإنه إذا رأى المرضى وأصحاب البلاء ، عرف عظم نعمة العافية ، وهكذا .

وقد أرشدنا النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى هذا الأمر ، فقد روى البخارى (١) ومسلم (٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال والخَلْق

---

(١) كتاب الرقاق ، باب : لينظر إلى من هو أسفل منه ، ولا ينظر إلى من هو فوقه . انظر فتح البارى ١١ / ٣٢٢ .

(٢) فى أول كتاب الزهد . صحيح مسلم ٤ / ٢٢٧٥ .

فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه » ، وروى مسلم (١) عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « انظروا إلى من أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم » .

ومعنى أجدر ألا تزدروا : أى أحق ألا تنتقصوا ، أو تحتقروا ، أو تعيبوا (٢) .

وروى الترمذى (٣) فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً ، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ، ولا صابراً ، من نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ومن نظر فى دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه ، كتبه الله شاكراً صابراً ، ومن نظر فى دينه إلى من هو دونه ، ونظر فى دنياه إلى من هو فوقه ، فأسف على ما فاته منه ، لم يكتبه الله شاكراً ولا صابرا »

---

(١) فى أول كتاب الزهد – صحيح مسلم ٤ / ٢٢٧٥ .

(٢) انظر فتح البارى ١١ / ٣٢٣ .

(٣) كتاب صفة القيامة ، باب رقم : ٥٨ ، دون ترجمة ٤ / ٢٢٩ ، وقال عقب الحديث : هذا حديث حسن غريب . سنن الترمذى ٤ / ٢٣٠ ، وقال العراقى فى المغنى ٤ / ١٠٩ بهامش الإحياء : « وفيه المثنى بن الصباح ضعيف » ، وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير ٢ / ٤ .

وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال :

من شاء عيشاً رحيباً يستطيل به

فى دينه ثم فى دنياه إقبالاً

فلينظرن إلى من فوقه ورعا

ولينظرن إلى من دونه مالا (١) .

(١) إحياء علوم الدين ٤ / ١٠٩ .

إن ثمرات الشكر يانعة ، وأكله دائم ، وجناه دان ، وظلاله ظليلة وراقة ، يستظل بها المؤمن أنى كان من كل أذى ، فقد مضى كثير منها فى الحديث عن أهمية الشكر (١) ، وها أنا ذا أذكر جانباً من فوائد الشكر ، ليكون الناس على خبر وبينة من فوائد الشكر :-

١ - الشكر يدفع البلاء ، وينجى من العذاب والهلاك فى الدنيا ، يقول تعالى عن لوط وآله الذين آمنوا به ﴿ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥) ﴾ (٢) ، وترك شكر النعم والمنعم ، أو الكفر بالنعم والمنعم ، يوجب العذاب فى الدنيا ، أيا كان نوع هذا العذاب ، يقول سبحانه ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) ﴾ (٣) ، ويقول جل وعلا ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨) ﴾ (٤) ، والبطر هو التكبر بسبب كثرة النعم ، أو غمط النعمة ومقابلتها بالأشر والبطر (٥)

---

(١) انظر صـ .

(٢) سورة القمر [٣٤ ، ٣٥] .

(٣) سورة النحل [١١٢] .

(٤) سورة القصص [٥٨] .

(٥) انظر الكشاف ٣ / ١٧٤ ، ونظم الدرر ٥ / ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، وعناية القاضى ٧ / ٣١١ .

ويقول تعالى :- ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ⑦ ﴾ (١)

٢ - الشكر ينجي من عذاب الآخرة ، يقول عز اسمه ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ (٢) .

٣ - الشكر يحفظ النعم الموجودة ، ويجلب النعم المفقودة ، وهذا هو معنى الزيادة ، يقول عز وجل ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ⑦ ﴾ (٣) ، وكفران النعم سبب فى زوالها وتغييرها ، يقول سبحانه ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (٤) ، أى لم يك مبدلاً نعمته إلى عذاب ونقمة ، حتى يغيروا ما بأنفسهم من رعاية النعمة إلى كفرانها ، أيا كانت هذه النعمة جلت أو هانت (٥) .

٤ - الشكر يجلب - رضى الله عز وجل - عن العبد ، يقول تعالى ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة إبراهيم [٧] .
(٢) سورة النساء [١٤٧] .
(٣) سورة إبراهيم [٧] .
(٤) سورة الأنفال [٥٣] .
(٥) انظر عناية القاضى ٤ / ٤٩٢ ، وروح المعانى ١٠ / ٢٨ .
(٦) سورة الزمر [٧] .

إلى غير ذلك من فوائد الشكر وثمراته ، وقد أبدع الشعراء فى تجسيد هذه المعانى ، يقول الشاعر (١) .

حافظ على الشكر كى تستجزل القسما

من ضيع الشكر لم يستكمل النعما

الشكر لله كنز لا نفاد له

من يلزم الشكر لم يكسب به ندما

ويقول آخر (٢)

الشكر يفتح أبواباً مغلقة

لله فيها على من رامه نعم

فبادر الشكر واستغلق وثائقه

واستدفع الله ما تجرى به النقم

وقال ثالث (٣)

إذا كنت فى نعمة فارعها

فإن المعاصى تزيل النعم

وداوم عليها بشكر الإله

فإن الإله سريع النقم

إلى غير ذلك مما يجسد فوائد الشكر ومنافعه ،

والله أعلم . وصلى الله - على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

---

(١) روضة العقلاء صـ ٢٦٣ .

(٢) روضة العقلاء صـ ٢٦٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن /

علم الغيب

الفصل الأول

الغيب والشهادة في علم الله ﷻ

وفيه مبحثان :

المبحث الأول

الفرق بين الغيب والشهادة .

المبحث الثاني

التسوية بين الغيب والشهادة في علم الله ﷻ .



المبحث الأول

الفرق بين الغيب والشهادة

الغيب لغة :

هـو كـل ما غاب عنده ، وهو أيضاً ما غاب عن العيون وإن كـان محصلاً في القلوب . ويقال : سمعت صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لا أراه [١] .

والغيب : هو ما استتر عن العين ، واستعمل في كل غائبة عن الحاسة وعمـا يغيب عن علم الإنسان ، بمعنى الغائب . ويقال للشيء : غيب وغائب باعتباره للناس ، لا بالله تعالى ، فإنه ﷻ لا يغيب عنه شيء ، كما لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض [٢] .

أما الغيب في الاصطلاح :

فقـد وردت مـادة الغيب في القرآن الكريم ما يقارب خمسين مرة ، أغلبها بمعنى ما غاب عن الحواس ، وهو الأمر الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ ، ولا يعلمـه الرسـول ﷺ ، فضلاً عن بقية الخلق إلا من أطلعه الله ﷻ على شيء منه .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة غيب (١ / ٦٥٤) .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (ص / ٦١٦) .

وكلمـــة غيب في السنة النبوية وردت في أحاديث كثيرة ، نجد فـــيها أن الرسول ﷺ يعتبر الغيب علماً ، ويقرن بين الكلمتين (العلم ، الغيب) على اعتبار أن العلم لا يتناقض مع الغيب ، وعلى اعتبارات أخرى .

قـــال ﷺ : مـــا أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيّ حكمك ، عدل فيّ قضائك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكاناً فرجاً [١] .

إذن ، **فالغيب في السنة** : علم مستقل ، استأثر الله ﷻ بعلمه ، فلا يعلمه الرسول ﷺ .

وعرفه الأستاذ عبد الكريم عثمان في كتابه التنبؤ بالغيب قديماً وحديـــثاً ، فقـــال : الغيـــب هو ما غاب عن الحس ، وأدركه الإنسان بتحليله الفكري أو بالخبر اليقيني عن الله ﷻ ورسوله ﷺ أو يبقى سراً مكتوماً يعجز الإنسان عن إدراكه ،ولا يعلمه إلا اللطيف الخبير [٢] .

---

[١] **مسند الإمام أحمد (١ / ٣٩١ ، ٤٥٢) .**

[٢] **الإيمان بالغيب : لبسام سلامة (ص / ١٠) .**

والعلـــم فـــي اللغـــة : نقيض الجهل ، وعلمت الشيء عرفته وخبرته ، وهو : إدراك الشيء بحقيقته وذلك ضربان :

أحدهما : إدراك ذات الشيء ، وهذا لا يكون إلا لله ﷻ ، فهو المدرك لذات الغيب بحقيقته . قال تعالى ﴿ **لا تعلمونهم الله يعلمهم** ﴾ (١) .

الثانـــي : الحكم على الشيء بوجود شيء هوموجود له ، أو نفي شيء هو منفي عنه (٢) .

ومـــن صـــفات الله ﷻ : العلم ﴿ **وهو الخلاق العليم** ﴾ (٣) ، والعالم ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾(٤)، والعلام ﴿ **علام الغيوب** ﴾ (٥)

فهـــو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه بما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون ، لم يزل عالماً ولا يزال عالماً بما كان وما يكون ، ولا يخفـــى علـــيه خافية في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى ، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها ، دقيقها وجليلها ، على أتم الإمكان (٦) .

---

(١) **سورة الأنفال (٦٠) .**

(٢) **مفردات ألفاظ القرآن (ص / ٥٨٠) .**

(٣) **سورة يس (٨١) .**

(٤) **سورة التغابن (١٨) .**

(٥) **سورة المائدة (١١٦) .**

(٦) **لسان العرب ، مادة علم (١٢ / ٤١٦) .**

فعلـــم الغيـــب : هو إدراك حقيقة الغيب وذاته ، وهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى .

أما الشهادة : فقد قيل الشهيد هو الذي لا يغيب عن علمه شيء والشاهد والشهيد : الحاضر ، وإذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العليم ، وإذا أضـــيف إلـــى الأمـــور الباطنة فهو الخبير ، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد . والشاهد : هو العالم الذي يبين ما علمه [١] .

والشـــهود والشـــهادة : الحضور مع المشاهدة ، إما بالبصر أو بالبصيرة ، وقد يقال للحضور مفرداً – أي دون المشاهدة – قال تعالى ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ [٢] لكن الشهود بالحضور المجرد أولى ، والشهادة مع المشاهدة أولى .

وقولـــــه تعـــالى ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ أي ما يغيب عن حواس الناس وبصائرهم وما يشهدونه بحواسهم وبصائرهم [٣] .

مـــن المعانـــي اللغويـــة يتبين أن الشهادة من الحضور والعلم والمشـــاهدة بالبصر أو البصيرة ، وهي نقيض الغيب تماماً الذي يعني الخفاء والستر .

---

[١] انظر المرجع السابق ، مادة شهد (٣ / ٢٣٨ – ٢٤٣) .
[٢] سورة السجدة (٦) .
[٣] مفردات ألفاظ القرآن (ص / ٤٦٥) .

المبحث الثاني

التسوية بين الغيب والشهادة في علم الله ﷻ

لقـد قـرن الله ﷻ فـي كتابه العزيز بين الغيب والشهادة في عشـرة مواضع . وفي كلها ساوى علمه بالغيب – بالنسبة لبني البشر لا بالنسـبة لجلالـه تبارك وتعالى ، فهو لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض – مع علمه بالشهادة .

فالله ﷻ عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليه ولم يدركـوه ولـم يعلموه ولن يدركوه ، مما استأثر بعلمه لنفسه ، ويعلم أيضاً مع ذلك جميع ما لم يغب عنهم ، وجميع ما يعلمه الناس لا يخفى عليه شيء ، " إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء " لأنـه لا شـيء إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم والله ﷻ أخبر أن عنده علم كل شيء كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد وذلك هو الغيب [١] .

والآيـات التي قرن الله سبحانه وتعالى علمه بالغيب مع علمه بالشهادة وساوى بينهما ، هي :

الآيـة الأولى : قوله تعالى ذكره ﴿ **وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير** ﴾ [٢] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري (١١ / ٤٠٢) .

(٢) سورة الأنعام (٧٣) .

فبين الله تعالى فساد طريقة عبدة الأصنام – في الآيات السابقة لهـذه الآيـة – ولذلك فقد ذكر هاهنا ما يدل على أنه لا معبود إلا الله وحده وهو هذه الآية ، وذكر فيها أنواعاً كثيرة من الدلائل : أولها قوله تعـالى (خلق السماوات والأرض بالحق) ، ثانيها : قوله ﷻ (ويوم يقـول كـن فيكون) ، وثالثها : قوله تعالى (وله الملك يوم ينفخ في الصـور) رابعها : قوله (عالم الغيب والشهادة) ويعني بها أي أنه سبحانه وتعالى عالم ما تعاينون أيها الناس فتشاهدونه ، وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ولا تبصرونه [١] .

وكلمة (عالم الغيب والشهادة) تشرح لنا أنه سبحانه وتعالى ما دام عالم الغيب ، فمن باب أولى أنه يعلم المشهود ، وهذا تعبير دقيق ، وأنـه يعلـم الغيب ويعلم الشهادة ، وعلمه يترتب عليه جزاء ، لا عن تحكم ولكن عن حكمة [٢] .

الآية الثانية : قوله جل شأنه ﴿ **يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قـل لا تعـتذروا لـن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ [٣] .

---

[١] **تفسير الطبري (١١ / ٤٦٤) .**

[٢] **تفسير الشعراوي (٦ / ٣٧٣٠) .**

[٣] **سورة التوبة (٩٤) .**

هـذه الآيـة تتحدث عن اعتذار المتخلفين عن رسول الله ﷺ ، التاركين جهاد المشركين مع المسلمين – من المنافقين – فيقول الله ﷻ (قـل لا تعـتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) ثم ترجعون بعد ممـاتكم إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم السر والعلانية ، الذي لا يخفـى علـيه بواطن أموركم وظواهرها (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيخـبركم بأعمـالكم كلهـا سيئها وحسنها ، فيجازيكم بها ، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته [١] .

الآيـة الثالثة : قوله تبارك وتعالى ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكـم ورسـوله والمؤمـنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ [٢] .

يقـول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك : اعملوا لله بما يرضيه من طاعـته وأداء فرائضـه (فسـيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) فسـيرى الله إن عملـتم عملكم ، ويراه رسوله والمؤمنون في الدنيا ، وسـتردون يـوم القيامة إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم ، فلا يخفى عليه شيء من بواطن أموركم وظواهرها ، فيخبركم بما كنتم تعملون

---

[١] تفسير الطبري (١٤ / ٤٢٤ ، ٤٢٥) .

[٢] سورة التوبة (١٠٥) .

وما منه خالصاً وما منه رياء ، وما منه طاعة وما منه لله معصية ، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته[١]

ولا يبعد أن يكون الغيب في قوله ﷻ (عالم الغيب والشهادة) ما حصل في قلوبهم من الدواعي والصوارف التي منعتهم من التخلف عن الجهاد ، فالله ﷻ مطلع عليها ، عالم بها ، كما يعلم الشهادة ، والأعمال التي تظهر على جوارحهم .

والآيتان التي ذكر الله ﷻ بها (وستردون إلى عالم الغيب والشهادة) المراد منها تعريف عقاب الخزي والتضحية ، ومثاله : أن العبد الذي خصه السلطان بالوجوه الكثيرة من الإحسان ، إذا أتى بأنواع كثيرة من المعاصي – أمام السلطان أو في غيبته لكنه علم بها– فإذا حضر ذلك العبد عند السلطان ، وعدّد عليه أنواع قبائحه وفضائحه ، قوي حزنه ، وعظم غمه ، وكملت فضيحته . وهذا نوع من أنواع العذاب الروحاني ، وربما رضي العاقل بأشد أنواع العذاب الجسماني حذراً منه ، والمقصود من هذه الآية تعريف هذا النوع من العقاب الروحاني [٢] .

---

(١) المرجع السابق (١٤ / ٤٦٢ ، ٤٦٣) .

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٦ / ١٨٩) .

الآيــة الرابعة : قوله سبحانه وتعالى ﴿ **عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** ﴾ [١] .

هــذه الآيــة تمــدّح الله سبحانه وتعالى بها بأنه (عالم الغيب والشهادة) أي عالم بما غاب عن الخلق وبما شهدوه ، وقد نبه سبحانه وتعــالى على انفراده بعلم الغيب ، والإحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلــق ، فــلا يجــوز أن يشاركه في ذلك أحد [٢] . فهو جل وعلا يتســاوى عــنده ما غاب عن الحس والبصر ، وما كان مشاهداً مرئياً بالنظر ، وما خفي عن العباد ، وما شهدوه ، فعلمه تعالى شامل للخفي والمرئي ، والمعلوم والمستور ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

وزيــادة فــي الإيضاح والبيان لعلمه الشامل الكامل ، ومعرفته بــأحوال العــباد ما خفي منها وما ظهر ، وأن السر والجهر عنده ﷻ سواء ، فقد قال ﴿ **ســواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مســتخف بالليل وسارب بالنهار** ﴾ [٣] أي يستوي في علمه تعالى ما أضــمرته القلــوب وما نطقت به الألسنة ، ومن همس بالكلام سراً أو نطق به جهراً ، ويستوي في علمه كذلك من هو مستتر في ظلام الليل

---

[١] سورة الرعد (٩) .

[٢] تفسير القرطبي (٩ / ٢٨٩) .

[٣] سورة الرعد (١٠) .

يعمـــل القــبائح وهو في غاية الاستتار والاختفاء ، ومن يأتي بها في وضـــح النهار ، لا يستخفي من علمه القبيح ، بل يجاهر به ويفاخر ، سواء كان الإنسان مستخفياً في الظلمات أو كان ظاهراً في الطرقات ، فعلم الله تبارك وتعالى محيط بالجميع [١] .

وهــذه الآية تدل على أنه جل شأنه عالم بجميع أحوال الإنسان في مراتب فطرته ، ومحيط بعالمي الغيب والشهادة ، وأنه تعالى عالم بجمـــيع مـــا يـــأتون وما يذرون من الأفعال والأقوال ، وأنه لا فرق بالنسبة إليه بين السر والعلن .

وتقديـــم الإسرار والاستخفاء لإظهار كمال علمه تعالى ، فكأنه في التعلق بالخفيات أقدم منه بالظواهر ، وإلا فنسبته إلى الكل سواء ، لما عرفته آنفاً [٢] .

الآيـــة الخامســـة : قولـــه جل جلاله ﴿ **عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون** ﴾ [٣] .

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه سبحانه هو المختص بعلـــم الغيب والشهادة ، فغيره وإن علم الشهادة فلن يعلم معها الغيب ، والشهادة التي يعلمها لا يتكامل بها النفع إلا مع العلم بالغيـــب ، وذلك

---

(١) قبس من نور القرآن للصابوني (٥ / ٢٤١) .
(٢) تفسير أبي السعود (٣ / ٢٠٤) .
(٣) سورة المؤمنون (٩٢) .

كالوعيد لهم ، ولذلك قال (فتعالى عما يشركون) [١] .

وهـــو تعـــالى ذكره عالم بما غاب عن خلقه من الأشياء ، فلم يـــروه ولم يشاهدوه ، وما رأوه وما شاهدوه ، وإنما هذا خبر من الله تعـــالى عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين : اتخذ الله ولداً ، وعبدوا مـــن دونه آلهة ، إنهم فيما يقولون ويفعلون مبطلون مخطئون ، فإنهم يقولـــون مـــا يقولـــون من قول في ذلك عن غير علم ، بل عن جهل مـــنهم به ، وإن العالم بقديم الأمور وبحديثها ، وشاهدها وغائبها عنهم الله ﷻ ، الذي لا يخفى عليه شيء ، فخبره هو الحق دون خبرهم [٢] ولذلـــك قال رداً عليهم : ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهـــب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون** ﴾ [٣] .

الآية السادسة : قوله تعالى شأنه ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون . ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم** ﴾ [٤] .

يقول تعالى ذكره : هذا الذي يفعل ما وصفت لكم في هـــــذه

---

(١) التفسير الكبير (٢٣ / ١١٧) .
(٢) تفسير الطبري (١٩ / ٦٦) .
(٣) سورة المؤمنون (٩١ ، ٩٢) .
(٤) سورة السجدة (٥ ، ٦) .

الآيات هو(عالم الغيب) أي عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس ، فـــلا تبصرونه ، مما تكنه الصدور وتخفيه النفوس ، وما لم يكن بعد مما هو كائن (والشهادة) ويعلم ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعاينته وما هو موجود (العزيز الرحيم) [١] ، وقدم العلم بالغيب لأنه أقوى وأشد ، إنباء عن كمال العلم [٢] .

الآية السابعة : قوله تبارك وتعالى ﴿ **قل اللهم فاطر السماوات والأرض عـــالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ [٣] .

يقول تعالى ذكره لنبيه سيدنا محمد ﷺ : قل يا محمد : يا الله ، يـــا خـــالق السماوات والأرض ، يا (عالم الغيب والشهادة) يا عالم السر والعلانية ، يا من ليس تخفى عليه خافية ، الذي لا تراه الأبصار ولا تحســه العـــيون ، وما غاب عن العباد أنت تعلمه ، والذي تشهده أبصار خلقه ، وتراه أعينهم، وما عرف العباد وشهدوا أنت تعلمه [٤] أنـــت تفصل بين عبادك ، بعدلك وقضائك ، فافصل بيني وبين هؤلاء المشركين ، فيما نحن فيه من اختلاف في أمر الدين .

---

(١) **المرجع السابق (٢٠ / ١٧٠) .**
(٢) **التفسير الكبير (٢٥ / ١٧٣) .**
(٣) **سورة الزمر (٤٧) .**
(٤) **تفسير الطبري (٢١ / ٣٠١ ، ٣٠٢) .**

والغرض من الآية : الالتجاء والتضرع إلى الله ﷻ ، لينصره على من كذبه وناوءه ، وفيها تسلية للنبي ﷺ [١] .

عـن عـبد الرحمـن بن عوف ﷺ قال : سألت السيدة عائشة رضـي الله عنها : بأي شيء كان النبي ﷺ يستفتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : " اللهم رب جبريل وميكائـيل وإسرافيل " فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنـت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون " اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم " [٢] .

وقال سعيد بن جبير : " إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط فسأل الله شـيئاً إلا أعطـاه إياه ، قولـه تعالى ﴿ **قل اللهم فاطر السماوات والأرض عـالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ " [٣] .

الآيـة الثامـنة : قوله جل جلاله ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** ﴾ [٤] .

---

[١] قبس من نور القرآن (١١ / ١٦٨) .

[٢] صحيح مسلم ، ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٢٦ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، حديث ٢٠٠ (١ / ٥٣٤) .

[٣] تفسير القرطبي (١٥ / ٢٦٥) .

[٤] سورة الحشر (٢) .

يخـــتم الله ﷻ سورة الحشر ببيان عظمته جل شأنه في أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، فبعد أن ذكر الاسم الجليل (الله) الذي هو أعظـــم أســـمائه جل وعلا ، ذكر الأسماء التي هي كالأوصاف للاسم الأعظم الجليل ، فقال سبحانه وتعالى (عالم الغيب والشهادة) أي هو جـــل جلالـــه العالم بالسر والعلانية ، يعلم ما غاب عن العباد مما لم يشـــاهدوه ، ويعلم ما أبصروه وشاهدوه ، فالكل عنده سواء ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، ومن هذا الاسم الجليل يستقر فـــي ضـــمير المؤمـــن الشـــعور بعلم الله الشامل للظاهر والمستور ، وتستيقظ في نفسه المراقبة لله في السر والعلانية (١) .

وتقديـــم الغيـــب على الشهادة لتقدمه في الوجود ، وتعلق العلم القديم به (٢) .

الآية التاسعة : قوله عز من قائل ﴿ **قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ (٣) .

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : قل يا محمد لليهود إن الموت الذي تكرهونه وتفرون منه وتأبون أن تتمنوه فإنه ملاقيكم ونازل بكم ، ثم

---

(١) قبس من نور القرآن (١٤ / ٥١) .
(٢) تفسير أبي السعود (٥ / ٣١٠) .
(٣) سورة الجمعة (٨) .

يـــردكم ربكـــم من بعد مماتكم (إلى عالم الغيب والشهادة) إلى عالم غيـــب السماوات والأرض ، وما شهد فظهر لرأي العين ولم يغب عن أبصـــار الناظريـــن ، فيخـــبركم حينـــئذ ما كنتم في الدنيا تعملون من الأعمال ، سيئها وحسنها ، لأنه محيط بجميعها ، ثم يجازيكم على ذلك المحسن بإحسانه والمسيء بما هو أهله [١] .

الآيـــة العاشرة : قوله سبحانه وتعالى ﴿ **عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم** ﴾ [٢] .

ختم الله ﷻ سورة التغابن بما يدل على رقابته جل شأنه لعباده وعلمه الواسع الشامل بأفعالهم وأعمالهم ، ولذلك قال عز شأنه (عالم الغيـــب والشهادة العزيز الحكيم) أي هو سبحانه العالم بما غاب عن الأنظـــار ، وبما هو مشاهد ومرئي بالأبصار ، لا تخفى عليه خافية ، وهو العزيز الغالب في ملكه ، الحكيم في صنعه تبارك ربنا وتعالى .

وهـــو خـــتم بديع يتناسق مع موضوع الآيات وجوها المشحون بالجزاء والحساب [٣] .

---

[١] تفسير الطبري (٢٣ / ٣٧٩ ، ٣٨٠) .

[٢] سورة التغابن (١٨) .

[٣] قبس من نور القرآن (١٤ / ١٢٩) .

المبحث الأول

الدلالة على انفراد الله ﷻ بعلم الغيب

ذكــرت في الفصل السابق (الغيب والشهادة في علم الله ﷻ) أن الله تــبارك وتعــالى عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا علــيه ولــم يدركوه ولم يعلموه ولن يدركوه مما استأثر بعلمه لنفسه ، ويعلم أيضاً مع جميع ذلك ما لم يغب عنهم وجميع ما يعلمه الناس ، لا يخفى عليه شيء ، لأنه لا شيء إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم .

فالغيــب أنــواع ، أمر غاب عنك ومعلوم لغيرك ، وهو الذي يعلمــه بعــض المخلوقات دون غيرهم ، وهذا غيب نسبي أو مقيد ، كالنشــال الذي سرق حافظة نقودك وأنت في الطريق ، أنت لا تعرف أيــن نقــودك ، ولكن اللص يعرف تماماً مكان ما سرق منك .فهناك فارق بين غيب عنك ولكنه ليس غيباً عن غيرك .

وهناك ما يغيب عنك وعن غيرك ، ولهذا الغيب مقدمات ، إن أخــذ الإنسان بها فهو يصل إلى معرفة هذا الغيب ، وهذا لا يعني أنه علــم الغيــب ، لأن الله تعالى يقول ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** ﴾ [١] لكنه فطن ونظر في الكون ، فكان عنده مقدمات

---

[١] سورة البقرة (٢٥٥) .

رتبها فساعدته للوصول إلى معرفة هذا الأمر ، فهو قد علم (من الغيب) ولم يعلم الغيب . وهذا ما نراه في الاكتشافات العلمية التي يتولد أسرارها بأخذ العلماء بالأسباب التي وضعها الله في الكون .

وهناك لون من الغيب وهو الغيب المطلق ، وهو الذي انفرد الله ﷻ بمعرفته ، فلا يعلمه أحد إلا الله ، والإحاطة به من خصائص الله تبارك وتعالى ، وذلك مثل ميعاد اليوم الآخر ، وغير ذلك من الغيب الذي يحتفظ الله به لنفسه [١] . قال سبحانه وتعالى ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾ [٢] .

فهذه الآية تدل على اختصاص الله ﷻ وانفراده بعلم الغيب ، العلم الواسع الشامل الذي لا يغيب عنه شاردة ولا واردة في الأرض ولا في السماء ، فهو سبحانه المالك لمفاتح الغيب ، والعالم بشؤون الكون ، والمتصرف بالإيجاد والتدبير ، هو وحده الذي يعلم وقت قيام الساعة ، وهو وحده العالم بما في أرحام الأمهات ، أذكر أم أنثى ، أتام أم ناقص ، أشقي أم سعيد ، أحسن أم قبيح ، حين لا يملك أحد أن يعرف عن ذلك شيئاً في اللحظة الأولى من الحمل وقبل الحمل ، وهو

---

[١] انظر الإيمان بالغيب (ص / ١٣ ، ١٤) ، وانظر تفسير الشعراوي (٦ / ٣٦٦٩) .
[٢] سورة لقمان (٣٤) .

الفصل الثاني

انفراد الله ﷻ بعلم الغيب

وفيه مبحثان :

المبحث الأول

الدلالة على انفراد الله ﷻ بعلم الغيب

المبحث الثاني

العلة في انفراده ﷻ في علم الغيب

وحـــده الذي يعلم الآجال والأعمار ، وما يقع على الإنسان من أحداث وأقدار، ويعلم منية الإنسان بأي مكان أو دار ، فكل ذلك من خصائص علم الله الواحد القهار [١] .

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن امرأتي حبلى ، فأخبرني ماذا تلد ؟ وبلادنا محل جدبة ، فأخبرني متى ينزل الغيث ؟ وقد علمت متى ولـــدت ، فأخبرت متى أموت ؟ وقد علمت ما علمت اليوم ، فأخبرني ماذا أعمل غداً ؟ وأخبرني متى تقوم الساعة ؟ فأنزل الله ﷻ هذا الآية ﴿ **إن الله عـــنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾ [٢] [٣].

فهذه الأمور التي في الآية هي أشياء من الغيب استأثر الله بهن فلـــم يُطلـــع عليهن ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلاً ، فلا يدري أحد من الـــناس مـــتى تقـــوم الساعة ، في أي سنة أو في أي شهر أو ليل أو نهـــار ، ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث ، ليلاً أو نهاراً ، في أي مكان وأيـــة أرض وأيـــة بقعة ، ولا يعلم أحد كذلك ما في الأرحام أذكراً أم أنثى أحمر أم أسود ، أو ما هو ولا تدري نفس ماذا تكسب غداً خيـــراً

---

(١) قبس من نور القرآن الكريم (١٠ / ٨١ ، ٨٢) .

(٢) سورة لقمان (٣٤) .

(٣) تفسير القرطبي (١٤ / ٨٣) وتفسير الطبري (٢٠ / ١٦٠) .

أم شـــراً ولا تـــدري يا ابن آدم متى تموت ، لعلك الميت غداً ، لعلك المصاب غداً ، فليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض ، في بحر أو بر أو سهل أو جبل [١].

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : هل بقي من العلم شيء لا تعلمه ؟ قـــال : قـــد علم الله ﷻ خيراً ، وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله ، ثم تلا هذه الآية [٢] .

في هذه الآية المغيبات الخمس التي لا يعلمها إلا الله رب العالمين وتسمى مفاتيح الغيب ، كما قال الصادق المصدوق ﷺ كما أخبر سالم ابن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : مفاتح الغيـــب خمس ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحـــام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾ [٣] .

وقوله ﷺ : (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ، لا يعلم ما فـــي غـــد إلا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم

---

(١) **تفسير الطبري (٢٠ / ١٦٠) .**

(٢) **مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥ / ٣٦٩) .**

(٣) **صحيح البخاري ، ٦٥ كتاب تفسير القرآن الكريم ، ٦ تفسير سورة الأنعام ، باب وعنده مفاتح الغيب (٥ / ١٩٣) .**

متى تقوم الساعة إلا الله) [١] .

والآيـــة الســـابقة كقوله سبحانه وتعالى ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمهـــا إلا هـــو ويعلـــم مـــا في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمهـــا ولا حـــبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ [٢] .

فقـــد أضـــاف الله ﷻ علم الغيب لنفسه في هذه الآية وغيرها ، والمـــراد في هذه الآية أنه سبحانه وتعالى هو العالم بكل شيء ، فهو يعجل ما تعجيله أصلح ، ويؤخر ما تأخيره أصلح .

والمـــراد بمفاتيح الغيب : الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله جـــل وعـــلا ، شبهت تلك الغيبيات بخزائن مغلقة ، لها مفاتيح هي بيد عـــلام الغـــيوب وحـــده ، لا يطلع عليها أحد غيره ، والعالم بالمفاتيح وكيفـــية استعمالها في فتح الخزائن المغلقة والأقفال يمكنه أن يتوصل بالمفاتـــيح إلـــى ما في تلك الخزائن ، فكذلك الحق سبحانه وتعالى لما كان عالماً بجميع المعلومات عبر هذا المعنى بالعبارة المذكورة [٣] .

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة – نقلاً عن ابن حجر فـــي

---

(١) صحيح البخاري ، ٦٥ كتاب تفسير القرآن الكريم ، ١٣ تفسير سورة الرعد ، باب قوله (إن الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام) (٥ / ٢١٩) .

(٢) سورة الأنعام (٥٩) .

(٣) انظر التفسير الكبير (١٣ / ٨ ، ٩) .

الفـتح (٨ / ٥١٤) – : (عـبر بالمفتاح لتقريب الأمر على السامع لأن كـل شيء جعل بينك وبينه حجاب فقد غيّب عنك ، والتوصل في العادة إلى معرفته من الباب ، فإذا أغلق احتيج إلى المفتاح) .

وإن علـم الله سبحانه وتعالى بجميع علم شهادة ، وعلمه بما لم يوجـد علـم غيب ، وما لم يوجد له خزائن أو مفاتح لا يعلمها إلا الله تعالى ، وعدد هذه المفاتح خمس – إذا أخذنا بظاهر النص – أو أكثر مـن ذلك دون تحديد إن لم نعتبر للعدد هنا مفهوماً ، حيث أنه لم يأت الـنص بصـيغة الحصر ، وبخاصة إذا دعمنا هذا الموقف بأن كلمة خمـس جـاءت لمطابقـة الواقع ، وبالتالي لا مفهوم لها من حيث أن العـرب كـانوا يدعون علمها بالذات ، فلا مفهوم على الراجح ، والله أعلم [١] .

وهـذه الأمـور المذكورة في الآية الكريمة هي أمهات العلوم الغيبية التي اختص الباري جل وعلا وتفرد بعلمها .

وفي هذه الآية إشارة إلى جميع أنواع الغيب ، فالغيب ما غاب عـن الوجود أو الشهود ، وهو أولاً عالم البرزخ . وثانياً عالم الآخرة والسـاعة مفتاح الآخرة ، ولا يعلم أحد من الناس في أي سنة وفي أي شـهر وفـي أي ساعة من ساعات الليل والنهار تقوم القيامة . وثالثاً بعض عالم الدنيا ، وهو النبات الذي لم يوجد ، والغيث مفتاح عالـم

---

[١] الإيمان بالغيب (ص / ٣٧) .

النبات ، والغيث مخصوص بالمطر النافع ، ينزله في زمانه الذي قدره من غير تقديم ولا تأخير إلى محله الذي عينه في علمه من غير خطأ وتـــبديل ، فهـــو جـــل وعلا متفرد بعلم زمانه ومكانه وعدد قطراته . ورابعـــاً بعض عالم الدنيا أيضاً ، وهو الحيوان الذي لم يولد ، وما في الأرحـــام مفـــتاح عـــالم الحيوان ، وهو تعالى المتفرد بمعرفة ما في الأرحـــام ، ذاته ذكراً أم أنثى ، حياً أم ميتاً ، وصفاته تاماً أم ناقصاً ، حسن أم قبيح ، سعيد أم شقي . وخامساً بعض عالم الدنيا كذلك ، وهو كسب النفس الذي يحصل في المستقبل ، وقوله (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) ظاهر في مفتح الكسب والأعمال ، وقد انفرد جل جلاله بمعـــرفة مـــا تفعل النفس ، وما يحصل من خير وشر ووفاق وشقاق وبمـــا تعـــزم على خير فتفعل الشر وبالعكس . وقوله جل شأنه (وما تدري نفس بأي أرض تموت) إشارة بالموت إلى عالم البرزخ ، وهو ســـبحانه وتعـــالى المـــتفرد بمعرفة مكان موت كل نفس في بر وبحر وسهل وجبل [١] .

يقول بعض المفسرين : إن الله تعالى نفى علم أمور خمسة بهذه الآيـــة عن غيره ، وهو كذلك ، لكن المقصود ليس ذلك ، لأن الله ﷻ يعلـــم الفرد الذي كان في كثيب رمل في زمان الطوفان ، ونقله الريح من المشرق إلى المغرب كم مرة ، ويعلم أين هو ولا يعلمه غيـــره ،

---

[١] انظر تفسير روح البيان (٧ / ١٠٢ – ١٠٤) ، والإيمان بالغيب (ص / ٣٧) .

فلا وجه لاختصاص هذه الأشياء بالذكر [١] .

فحينما كان الكفار يطلبون من النبي ﷺ أن يأتي لهم بآية حسية قـال سبحانه وتعالى ﴿ **ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين** ﴾ [٢] .

فمن الممكن أن ينزل الحق سبحانه وتعالى الآية الحسية ، ومن الممكـن ألا يـنزلها ، فـالحق سبحانه وتعالى يُعلّم رسوله ﷺ جواباً احتياطياً ، فهو عليه الصلاة والسلام لا يحكم على ربه ، والغيب أمر يخصـه سبحانه ، فإن شاء جعل ما في الغيب مشهداً ، وإن شاء جعل الغيب غيباً مطلقاً ، وليس عليهم سوى الانتظار والرسول ﷺ يعلن أنه معهم من المنتظرين [٣] .

فقولـه ﷻ (إنما الغيب لله) يرسم صورة لعلم الله الشامل المحيط ، الـذي لا يغيب عنه شيء في الزمان ولا في المكان ، في الأرض ولا فـي السماء ، ويثبت له وحده سبحانه وتعالى علم الغيب ، وينفيه عن غـيره ، ولا يجوز أن ينفي الله سبحانه وتعالى شيئاً عن الخلق ويثبته لنفسه ثم يكون له في ذلك شريك ، ألا ترى قوله ﷻ ﴿ **قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ [٤] .

---

[١] التفسير الكبير (٢٥ / ١٦٤) .

[٢] سورة يونس (٢٠) .

[٣] تفسير الشعراوي (١٠ / ٥٨٣٥) .

[٤] سورة النمل (٦٥) .

وقولـه تبارك وتعالى ﴿ **لا يجليها لوقتها إلا هو** ﴾ [١] وقوله ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله** ﴾ [٢] على أحد الأقوال ، فكان هذا كله مما استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه لا يشركه فيه غيره [٣] .

وقـد قالـت السـيدة عائشـة رضي الله عنها : من زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله سـبحانه وتعالى يقول ﴿ **قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ [٤] [٥] .

وهذه الآية نزلت حين كان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قـيام الساعة ، سخرية واستهزاءاً ، فجاءت لتقرر أن الساعة من أمر الغيـب ، وأن الغيـب لا يعلمه أحد من الملائكة ولا الأنبياء والبشر ، وإنما هو من خصائص الواحد الخالق المدبر ، علام الغيوب ﷻ [٦].

فـالله سبحانه وتعالى عنده علم الغيب ، وبيده الطرق الموصلة إليه ، لا يملكها إلا هو ، فمن شاء اطلاعه عليها أطلعه ، ومن شـاء

---

(١) سورة الأعراف (١٨٧) .

(٢) سورة آل عمران (٧) .

(٣) تفسير القرطبي (٤ / ١٧) .

(٤) سورة النمل (٦٥) .

(٥) صحيح مسلم ، ١ كتاب الإيمان ، ٧٧ باب معنى قول الله ﷻ (ولقد رآه نزلة أخرى) وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء (١ / ١٥٩) .

(٦) قبس من نور القرآن (٩ / ١٩١) .

حجْــبه عنها حجبه ، ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله ، بدليل قولــه تعالى ﴿ **وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله ما يشاء** ﴾ (١) ، وقال ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول** ﴾ (٢) (٣) .

فجــاءت هذه الآيات لتظهر تفرد الله سبحانه وتعالى بعلم الغيب علــى الإطــلاق ، فلا يطلع على غيبه اطلاعاً كاملاً ينكشف به جلية الحال انكشافاً تاماً موجباً تاماً لعين اليقين أحد من خلقه (٤) .

روي أنـــه دخل على الحجاج منجم ، فاعتقله الحجاج ، ثم أخذ حصيات فعدهن ، ثم قال : كم في يدي من حصاة ؟ فحسب المنجم ثم قــال : كذا ، فأصاب . ثم اعتقله فأخذ حصيات لم يعدهن ، فقال : كم فــي يدي ؟ فحسب فأخطأ ، ثم حسب فأخطأ ، ثم قال : أيها الأمير : أظــنك لا تعــرف عددهــا ؟ قال : لا ، قال : فإني لا أصيب . قال الحجــاج : فمــا الفرق ؟ قال : إن ذلك أحصيته فخرج عن حد الغيب – المطلق – وهذا لم تحصه فهو غيب ، و(لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله) (٥) .

---

(١) سورة آل عمران (١٧٩) .
(٢) سورة الجن (٢٦ ، ٢٧) .
(٣) تفسير القرطبي (٧ / ٢) .
(٤) انظر تفسير روح البيان (١٠ / ٢٠١) .
(٥) تفسير القرطبي (١٣ / ٢٢٦) .

المبحث الثاني

العلة في انفراد الله ﷻ بعلم الغيب

الغيـــب هـــو العقبة التي يقف عندها البشر من حيث المعرفة ، والغيـــب هـــو المقابل للشهادة ، والله ﷻ هو عالم الغيب ، وهو علام الغيوب على الإطلاق .

وقـــد انفرد الله سبحانه وتعالى بذلك وأخفى غيبه عن الخلق ، ولم يطلع عليه أحد لئلا يأمن أحد من عبيده مكروه [١] .

وقـــد أخفـــى الله ﷻ عن عباده وقت قيام الساعة ، وانفرد جل جلاله بعلم ذلك ، حيث قال ﴿ **إن الله عنده علم الساعة** ﴾ [٢] ، وقال ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي** ﴾ [٣] وقـــال ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها** ﴾ [٤] وغير ذلك من الآيات .

فوقـــت قـــيام الساعة لا يُظهر عليه أحداً أبداً ، لأن بيان وقتها مُخـــل بالحكمة التشريعية التي يدور عليها فلك الرسالة [٥] ، كما أنه تبارك وتعالى أخفى وقتها وانفرد بعلم ذلك ليكون الناس على حـــــذر

---

(١) تفسير القرطبي (١٣ / ٢٢٥) .

(٢) سورة لقمان (٣٤) .

(٣) سورة الأعراف (١٨٧) .

(٤) سورة النازعات (٤٢ – ٤٤) .

(٥) روح البيان (٧ / ١٠٣) .

وأهــبة . كمــا روي أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال : يا رســول الله ، متى الساعة قائمة ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ويلك ، وما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله ، قال (إنك مع من أحببت) [١] .

وقــد أخفى الله جل جلاله نزول الغيث ، وهو المطر ، وسمي بذلك لأنه غياث الخلق ، به رزقهم وعليه بقاؤهم ، فمن أراد استجلاب الــرحمة فعليه بالتوبة والندامة والتضرع إلى قاضي الحاجات بأخلص المــناجاة [٢] . فإذا علم العباد وقت نزوله ومكانه اتكلوا على ذلك ، وانتظروا نزوله ، وانتقلوا من مكان لآخر تبعاً للبقعة التي سينزل فيها دون انــتظار ، وبالتالي لا تحصل منهم التوبة والندامة والتضرع إلى الله ﷻ والإنابة إليه .

كمــا أنه جل شأنه قال ﴿ **وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾ [٣] فلا تعلم نفس معاشها ومعادها ، ولا تعلــم ماذا تكسب غداً مع أنه فعلها وزمانها ، ولا تعلم أين تموت مع أنه شغلها ومكانها ، فالله ﷻ ما أعلمها كسب غدها مع أن لها فيها فوائد تبني عليها الأمور من يومها ، ولا أعلمها أين تموت مع أن لها

---

(١) صحيح البخاري ، ٧٨ كتاب الأدب ، ٩٥ باب ما جاء في قول الرجل : ويلك (٧ / ١١٠)

(٢) التفسير الكبير (٢٥ / ١٦٥) .

(٣) سورة لقمان (٣٤) .

فـيها أغراضـاً تهيئ أمورها بسبب ذلك العلم ، وإنما لم يعلمها لكي تكون في وقت بسبب الرزق راجعة إلى الله تعالى متوكلة عليه [١] . وفيه تنبيه على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة ، والخروج عـن المظلمـة ، وقضاء الدين ، وإثبات الوصية بما له وما عليه في الحضـر فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر ، دون توان أو تكاسـل أو تأخـير أو ضرر ، فإنه لا يدري أين كتبت منيته من بقاع الأرض [٢] .

والإنسان غير مخلد في الدنيا ، فعلم الغيب ليس من ضرورات الخلافـة في الأرض ، ولو كان كذلك لأطلعهم الله تعالى عليه ، حيث أنـه كلفهم بالخلافة ، وهيأ لهم كل ما يلزم من أجل هذه الخلافة ، ولو كـان علم الغيب من ضرورات الخلافة ولم يعطهم إياه لكان تكليفاً بما لا يطاق وحاش لله .

والجـزء البسـيط الـذي أطلـع عليه بعض مخلوقاته هو من ضرورات الحياة ليتحقق الابتلاء الذي خلق الله ﷻ الخلق من أجله[٣]

والله برحمته لا يكشف الغيب لكل المؤمنين ، فلو أطلع المؤمن على الغيب لفسـدت أمور كثيرة في الكون ، فهب أن الله ﷻ أطلـع

---

(١) التفسير الكبير (٢٥ / ١٦٥) .
(٢) روح البيان (٧ / ١٠٤) .
(٣) الإيمان بالغيب (ص / ١٥) .

الإنســـان على غيب حياته ، فعرف الإنسان ألف حادثة سارة ثم حادثة واحـــدة مدركـــة ، فإن كدر الإنسان بالحادثة الواحدة المكدرة التي تقع بعد عشرين عاماً يفسد على الإنسان تنعمه بالأحداث السارة .

وإن كـــان الإنســـان يريد أن يطلع على غيب الناس فهل يقبل أن يطلـــع علـــى غيبه أحد ؟ فلماذا تريد أيها الإنسان أن تعرف غيب غيرك ؟ أيرضى أي واحد منا أن يعرف الناس غيبه ؟ لا . إذن فستر المعلومات عن الناس وجعلها غيباً وانفراد الله جل جلاله بها هي نعمة كبرى .

إذن ، فقـــول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وما كان الله ليطلعكم على الغيـــب** ﴾ [١] هو سنة من الله ﷻ لأن نظام الملك ينتظم بها ويحتاج إليها . وكل إنسان له هزات مع نفسه ، وقد تأتي له فترة يضعف فيها فـــي شيء من الأشياء ، فإذا ما عرف الغير منطقة الضعف في إنسان مـــا ، وعرف هذا الإنسان منطقة الضعف في أخيه ، فلسوف يبدو كل الـــناس في نظر بعضهم بعضاً ضعافاً ، ومن فضل الله أن أخفى غيب الـــناس عن الناس ، وجعل الله ﷻ إنساناً ما قوياً فيما لا نعلم ، وذلك قويـــاً فيما لا نعلم ، وبذلك تسير حركة الحياة بانتظامها الذي أراده الله جل جلاله [٢] .

---

[١] **سورة آل عمران (١٧٩) .**

[٢] **تفسير الشعراوي (٣ / ١٨٩٩ ، ١٩٠٠) .**

الفصل الثالث

شمول علم الله ﷻ للغيب بكل أنواعه

وفيه مبحثـــان

المبحث الأول

شمول علم الله ﷻ لغيب الزمان

المبحث الثاني

شمول علم الله ﷻ لغيب المكان

المبحث الأول

شمول علم الله ﷻ لغيب الزمان

الأمور التي تدخل في الغيب كثيرة جداً يصعب حصرها، فنشأة الكون وحركته وطبيعته ، وما هو عقل الإنسان وأين يوجد ؟ وما هي الــروح ؟ وماذا عن الأرحام والصدور ؟ وكيف جاء الإنسان إلى هذه الأرض ؟ ومــتى سيغادرها ؟ وما مصير الإنسان بعد الموت ؟ وماذا عــن الســاعة ؟ ومــا حقــيقة الجزاء والعقاب ؟ وماذا عن الماضي والحاضر والمستقبل ؟

أســئلة كثــيرة تطرح ، وكلها لا يمكن الإجابة عليها إجابة شافية [١] لأنها داخلة في نطاق دائرة الغيب الواسعة جداً ، لكنها تصغر وتختفي أمــام كمــال قدرة الله ﷻ وسعة علمه وإحاطته وشموله ، فهو تبارك وتعــالى يعلم كل صغيرة وكبيرة في الكون في أي مكان وأي زمان ، لا يعــزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، وإن كانت مستترة وراء حجب الغيب كلها .

وحجــب الغيب ثلاثة : مرة يكون الحجاب في الزمن ماضياً ، ومــرة مســتقبلاً ، ومرة ثالثة يكون الحجاب في المكان ، لماذا ؟ لأن ظروف الأحداث زماناً ومكاناً ، فإذا أنبأ منبئ بخبر مضى زمنه فهذا اختراق لحجاب الأمن الماضي . وإذا قال عن أمر أنه سيحدث بعــد

---

[١] الإيمان بالغيب (ص / ٣١) باختصار .

ســنتين مــن الآن فهذا اختراق حجاب الزمن المستقبل . أما إذا أخبر بزمن معاصر للزمن الآن ، نقول : هنا يوجد حجاب المكان ، فعندما يكون الإنسان في مكان لا يعرف ما الحادث في مكان آخر غير الذي هو به رغم أن الزمن واحد (١) .

وهذا ليس عاماً ، فمثلاً حين يكون إنسان جالساً في مكان مظلم ومعــه عشرات الأشخاص في نفس المكان ، إلا أنه لا يستطيع معرفة كــل شخص ، وماذا يفعل ؟ وماذا يرتدي ؟ وغير ذلك . فالحجاب هنا لــيس حجابــاً للمكان إنما حجاب للزمن الحاضر ، وكذلك حين يكون الإنســان جالســاً في المسجد فلا يستطيع معرفة وتمييز ما يقرأ الناس وما يلهجون به بالدعاء أو الذكر وصوت هذا من ذاك وغير ذلك .

وعلــم الناس بالنسبة لغيب الماضي أمر نسبي ، ويمكن معرفة هذا النوع بالقراءة أو المشاهدة أو السماع ، والماضي كل لحظة تخرج من إطار الحاضر ولم تدخل في إطار المستقبل ، كالأحداث التاريخية الماضية التي لم نشهدها ، فما يجهله بعض الناس منها يعرفه آخرون كقصــة ســيدنا يوسف عليه السلام ، وغيرها من قصص الأمم الماضية (٢) التــي سماها القرآن غيباً بالنسبة للرسول عليه الصلاة والسلام ، فإذا كان الله عز وجل ينبئ رسوله ﷺ بهذه الأنباء ، فوسائل علم رسول الله ﷺ

---

(١) تفسير الشعراوي (٣ / ١٤٦٠) .

(٢) الإيمان بالغيب (ص / ٣٣) .

ثـــلاث ، لأن وسيلة العلم بالنبأ أحد ثلاثة أمور – كما مر – مشاهدة ، أو سماع ، أو قراءة .

والوســـيلة الأولى وهي مشاهدة النبأ يشترط أن يوجد في زمن هذا النبأ ، والأنباء التي ذكرت في القرآن، أخبر الله ﷻ بها رسوله ﷺ حدثـــت مـــن قـــبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام ، إذن فالمشاهدة كوسيلة علم بهذه الأنباء لا تصلح ، لأنها قد حدثت في الماضي .

قـــد يقول قائل : لعل الرسول ﷺ قد قرأها أو سمعها ، وبإقرار خصـــوم النبـــي ﷺ أنـــه ليس بقارئ ، فامتنعت هذه الوسيلة أيضاً ، وبإقرار خصومه ﷺ أنه لم يجلس إلى معلم فلم يستمع من معلم .

إذن فلـــم يكـــن مـــن سبيل لمعرفة الرسول ﷺ بهذه الأنباء إلا بالوحـــي مـــن الله ﷻ [١] فعلمـــه شـــامل حتى لجميع الأمم السابقة والأحـــداث التاريخية الماضية ، ولذلك قال ﷻ ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون** ﴾ [٢]

فبعد سرد قصة يوسف عليه السلام وأحداثها العجيبة ، تأتي هذه الآية معقـــبة بـــأن هذا الذي أخبرناك عنه من أمر يوسف الصديق وأخباره العجيـــبة مـــع إخوتـــه وما آل إليه أمره من الفر والملك والتمكين في الأرض ، إنما هو من الأخبار المغيبة التي لم تكن تعلمها قبل الوحي ،

---

(١) تفسير الشعراوي (٣ / ١٤٦٠ ، ١٤٦١) .

(٢) سورة يوسف (١٠٢) .

وإنمـــا أعلمـــناك نحـــن بهـــا على أكمل الوجوه [١] ، وما كنت لدى إخوتـــه عليه السلام حيـــن أجمعوا أمرهم وهو جعلهم يوسف عليه السلام في غيابة الجـــب وهـــم يمكرون به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر أسرارهم وبواطنها ، وتطلع على سرائرهم ، وتحيط بما لديهم خبراً ، ولـــيس المـــراد مجـــرد نفي حضوره عليه الصلاة والسلام في مشهد إجماعهم ومكرهم فقط ، بل في سائر المشاهد أيضاً ، وإنما تخصيصه بالذكـــر لكونـــه مطلـــع القصة وأخفى أحوالها ، كما ينبئ عنه قولـــه تعـــالى(وهم يمكرون) [٢] ، وفي هذا دلالة واضحة على سعة علم الله ﷻ وإحاطته بكل شيء ، حتى دقائق الأمور وأخفاها .

وهذه الآية مثل قوله تبارك وتعالى ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ومـــا كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون** ﴾ [٣] . فالله ﷻ يعني بقولـــه ذلك الأخبار التي أخبر بها عـــباده عن امرأة عمران وابنتها مريم ، وزكريا وابنه يحيى ، وسائر مـــا قـــص فـــي الآيات من قوله ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً ﴾ ، ثم جمـــع جمـــيع ذلـــك تعالى ذكره بقوله (ذلك) فهذه الأخبار من أنباء الغيب، أي أنها من خفي أخبار القوم التي لم تطلع عليها أنت يا محمد

---

[١] قبس من نور القرآن الكريم (٥ / ٢١٢ ، ٢١٣) .
[٢] تفسير أبي السعود (٣ / ١٩١) .
[٣] سورة آل عمران (٤٤) .

ولا قومك ، ولم يعلمها إلا قليل من أحبار أهل الكتابين ورهبانهم .

ثـم أخبر تعالى ذكره نبيه ﷺ أنه ﷻ أوحى ذلك إليه ، فهذا من شمول علم الله تبارك وتعالى وسعته وإحاطته بكل شيء ، فالنبي ﷺ لم يصـل إلى علم هذه الأنباء مع خفائها ، ولم يدرك معرفتها مع خُمولها عـند أهلها ، إلا بإعلام الله تبارك وتعالى ذلك إياه . ومعلوم أن النبي عليه الصلاة والسلام أمي لا يكتب فيقرأ الكتب ، فيصل إلى علم ذلك مـن قِبل الكتب ، ولا صاحب أهل الكتب فيأخذ علمه من قبلهم ، وما كـان عندهم فيعلم ما يعلمه الله ﷻ إياه من أخبارهم التي لم يشهدها ، حين كانوا يلقون أقلامهم وسهامهم أيهم أولى بكفالتها وأحق ، وما كان عـندهم حين اختصموا فيها أيهم أحق بها وأولى ، وهذا كله غيب عن النبي ﷺ إلى أن أخبره الله ﷻ بذلك وعرّفه إياه ، فأدركه كله [١] .

وهذه الآية مثل قوله تعالى ﴿ **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك مـا كنـت تعلمهـا أنـت ولا قومـك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين** ﴾ [٢] ، فهذه الآية جاءت بعد قصة سيدنا نوح عليه السلام ثم ذكـر بعدهـا قصـص الأنبياء تترا ، وهم قصة سيدنا نوح عليه السلام ، ثم قصـة سيدنا هود عليه السلام ، ثم قصة سيدنا نبي الله صالح عليه السلام ، ثم سيدنا لوط عليه السلام ، ثم قصة سيدنا شعيب عليه السلام ، وختمت بقصة سيدنا موسـى

---

(١) تفسير الطبري (٦ / ٤٠٤ – ٤٠٩) باختصار .

(٢) سورة هود (٤٩) .

وهـــارون عليهما السلام ، فبين سبحانه وتعالى أن هذه الأخبار لم تكن من تلقاء الرسول ﷺ ، إنما هي بوحي من الله العلي القدير الذي أنزل علـــى رســـوله ﷺ هذا الكتاب المعجز ، وفيه أنباء من سبق من الأمم والمرســـلين [١] ، وفـــيه إشارة واضحة إلى أنها من جنس الغيب ، وليســـت من قبيل سائر الأنباء بل هي نسيج وحدها متفردة عما عداها أو بعضها ، موحاة إلى النبي ﷺ من قبل الحق تبارك وتعالى، مجهولة عنده عليه الصلاة والسلام وعند قومه من قبل إيحاء الله ﷻ إلى النبي عليه الصلاة والسلام وإخباره بها [٢] .

ومثل هذه الآيات قوله تبارك وتعالى ﴿ **وما كنت بجانب الغربي إذ قضـــينا إلـــى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين** ﴾ [٣] وقوله ســـبحانه ﴿ **وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين** ﴾ [٤] ، وقوله جل شأنه ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكـــن رحمـــة من ربك ...** ﴾ [٥] ، وغير ذلك من الآيات التي تنفي وجود وحضور النبي ﷺ في ذلك الوقت ، وأخبرنا بها القرآن الكريم ، وفيها دلالة عظيمة على سعة علم الله ﷻ وشموله لغيب ما اندرس من

---

(١) قبس من نور القرآن الكريم (٥ / ٢٦) .
(٢) تفسير أبي السعود (٣ / ٥٥) .
(٣) سورة القصص (٤٤) .
(٤) سورة القصص (٤٥) .
(٥) سورة القصص (٤٦) .

تلـــك الأمـــم . وعلمه تبارك وتعالى لغيب الماضي ليس قاصراً على معـــرفة قصـــص وأخـــبار تلك الأمم ، بل إن علمه ﷻ أبعد من ذلك وأوســـع بكثـــير وأشـــمل ، فـــيعلم تـــبارك وتعالى أشكالهم وألوانهم وأوصـــافهم وعددهـــم ، ومـــا كان في أرحام إناثهم ، ويعلم أرزاقهم ومستقرهم ومستودعهم ، وما تسقط من ورقة من قديم الزمان ولا حبة فـــي ظلمـــات الأرض ولا رطـــب ولا يابس إلا يشملها علمه سبحانه وتعـــالى ، ويعلم نزول غيثهم زمانه ومكانه وعدد قطراته ، ويعلم ما بيـــن أيديهـــم وما خلفهم ، ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى أن تقوم الساعة .

فكما أنه جل جلاله يعلم غيب الماضي ، فإنه يعلم ما يغيب عن الإنســـان فـــي الحاضـــر ، كعلمه لغيب الماضي تماماً ، ويعلم غيب المستقبل ، وهذا لا يعلمه حقاً إلا الله تبارك وتعالى كعلم الساعة .

ويقصـــد بغيب المستقبل ما ذكره القرآن الكريم أو الرسول ﷺ مـــن حوادث ستقع ، سواء كان ذلك بتحديد مدة لوقوع هذه الحوادث ، أو أطلق من غير تحديد للمدة الزمنية ، وهو الشأن في أغلب الحالات.

ومـــن هـــذه الحوادث التي أخبر القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة أنها ستقع ما وقع بالفعل ، فكان وقوعها دلالة صدق لرســـول الله ﷺ ومنها ما تنتظر دورها والزمن كفيل بإظهار ذلك للأجيال [١]

---

[١] مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (ص / ٢٩٣) .

فمــن الحوادث المستقبلية التي أخبر الله ﷻ أنها ستقع ووقعت بالفعل ، قولــه تعالى ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ (١) وهزموا يــوم بدر ، فقد رماهم رسول الله ﷺ بقبضة من الحصباء ، فعن حكيم ابن حزام ﷺ قال : لما كان يوم بدر سمعنا صوتاً وقع من السماء كأنه صــوت حصــاة وقعت في طست ، ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية فانهزمنا (٢) .

وكذلــك قوله جل شأنه ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلــن المســجد الحــرام إن شــاء الله آمنيــن محلقين رؤوسكم ومقصــرين لا تخــافون** ﴾ (٣) (٤) وقــد تحقــق ذلك بالفعل ودخل الرســول ﷺ والمؤمنون إلى المسجد الحرام آمنين لا يخافون محلقين رؤوسهم ومقصرين .

وتوعــد القرآن الكريم أناساً معينين معروفين ، وحدد مصيرهم فـــي الدنيا والآخرة ، وأنهم سيموتون على الكفر ، ويخلدون في النار كأبي لهب ، والوليد بن المغيرة وأبي جهل ، فلو لم يكن القرآن الكريم من عند علام الغيوب ، والمحيط بالماضي والمستقبل لما صح ذلك في كل ما أخبر به ، بل لما كان من عاقل البشر أن يضيع مصير دعوته

---

(١) سورة القمر (٤٥) .

(٢) انظر تفسير الطبري (١٣ / ٤٤٣) .

(٣) سورة الفتح (٢٧) .

(٤) الإيمان بالغيب (ص / ١٥ ، ١٦) .

على شيء معين والله سبحانه وتعالى يقول عن نفسه (علام الغيوب) ويكـررها في عدة مواضع في (المائدة : ١٠٩ ، ١١٦) و(التوبة : ٧٨) و(سبأ : ٤٨) .

قال تعالى عن أبي لهب : ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب . ما أغنى عـنه مالــه ومــا كســب . سيصلى ناراً ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . في جيدها حبل من مسد** ﴾ [١] .

وقــال عــن الولــيد بن المغيرة ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلــت له مــالاً ممــدوداً . وبنين شهوداً . ومهدت له تمهيداً . ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيداً . سأرهقه صعوداً . إنه فكر وقدر. فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال إن هذا لسحر يؤثر. إن هذا إلا قول البشر . سأصليه سقر**﴾ [٢]

وقــال عــن أبي جهل ﴿ **أرأيت الذي ينهى . عبداً إذا صلى . أرأيت إن كان على الهدى . أو أمر بالتقوى .أرأيت إن كذب وتولى . ألــم يعلــم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فليدع ناديه . سندع الزبانية** ﴾ [٣] [٤] .

---

[١] سورة المسد (١ – ٥) .

[٢] سورة المدثر (١١ – ٢٦) .

[٣] سورة العلق (٩ – ١٩) .

[٤] مباحث في إعجاز القرآن (ص / ٢٩٤ ، ٢٩٥) .

ويعتبر هذا من الأمور المستقبلية التي وقعت ، وهي دلالة على شمول علم الله ﷻ لغيب المستقبل .

ومـن الأمـور المسـتقبلية التي لم تقع قيام الساعة ، يأجوج ومأجوج ، وغير ذلك. وقد كان المشركون واليهود يسألون الرسول ﷺ الكثـير مـن الأسئلة ، فسألوه عن الساعة ، وعن الروح ، وعن ذي القرنين ، فكان الجواب منه مطابقاً لما عندهم في التوراة ، لأنهم ظنوا أن الكـلام الذي يقوله الرسول ﷺ إنما يأتي منه جزافاً بدون ضابط ، ولـيس له رب ينزلـه ويعلمه به ، فلما أجاب بما عندهم في التوراة علمـوا أنـه لا يقول الكلام من عنده ، فقد قال تعالى ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلـت فـي السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ [١] .

فحيـن سألوه عن وقت قيامها أجابهم عليه الصلاة والسلام أن علم ذلك عند الله ﷻ فهو العليم الخبير الذي وسع علمه كل شيء ، لا يظهـرها ويبيـنها عند وقتها إلا هو سبحانه وتعالى ، ولا أحد يعرف وقت قيامها ، فلا الملائكة تعلم ذلك ، ولا الإنسان لكنه يحاول معرفتها بشهوة الفكر، وجميع من هم في السماوات ومن هم في الأرض ، وكل

---

[١] سورة الأعراف (١٨٧) .

مــن على الأرض خائف مما سيحدث لحظة قيام الساعة ، خصوصاً وأن الله ﷻ قال (لا تأتيكم إلا بغتة) والمصطفى ﷺ يعطي لنا صورة توضــح الحالة التي تأتي عليها ، فيقول : (وتقومن الساعة وقد نشر الــرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصــرف الــرجل بلبــن لقمته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضــه فــلا يســقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمهــا) [١] ، ففي علمها على أهل السماوات والأرض ، وكل ما خفي علمه فهو ثقيل على الفؤاد [٢] .

والواقــع فــي هذا اليوم يفوق احتمال البشر ، ولذلك فقد كانوا يكــثرون مــن الســؤال عن وقتها ظناً منهم أن النبي ﷺ معنيً بها ، ودائب السؤال عنها ، عارف بها ، وكأنك حفي ببرهم وفرح بسؤالهم ، وذلــك لأنهم قالوا : بيننا وبينك قرابة فأسِرّ إلينا بوقت الساعة (قل إنمــا علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ليس هذا تكريراً ، ولكن أحد العلمين لوقوعها ، والآخر لكنهها [٣] .

ومــثل هــذه الآية قوله تبارك وتعالى ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها . إنمــا أنت**

---

[١] البخاري ، الفتن باب ٢٥ (٨ / ١٠١) .

[٢] تفسير القرطبي (٧ / ٣٣٥) .

[٣] انظر تفسير الشعراوي (٧ / ٤٥٠٠ – ٤٥٠٩ (وتفسير القرطبي (٧ / ٣٣٦) .

مــنذر مــن يخشــاها . كــأنهم يــوم يرونـها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ [١] .

كأن هذه الآية تقول : لماذا يسألونك عنها ، إنها أعظم وأضخم من أن يسأل عن موعدها ، فأمرها إلى ربك ، لا يعلمها إلا هو وحده وليست مهمتك يا محمد إلا إنذار الناس وتخويفهم من عذاب الله تعالى وكــان هــؤلاء الكفار يوم يشاهدون أهوال القيامة لم يمكثوا في الدنيا إلا مقدار ساعة من نهار [٢] .

---

[١] سورة النازعات (٤٢ ـ ٤٦) .

[٢] قبس من نور القرآن الكريم (١٦ / ٤٦ ، ٤٧) .

المبحث الثاني

شمول علم الله تعالى لغيب المكان

علم الله ﷻ شامل محيط ، لا يندُّ عنه شيء في الزمان ولا في المكــان ، فــي الأرض ولا فــي السماء ، في البر ولا في البحر في جوف الأرض ولا في طبقات الجو ، من حي وميت ورطب ويابس ، وإن الوجــدان ليرتعش وهو يرتاد أستار الغيوب ، التي مفاتحها كلها عــند الله ﷻ لا يعلمها إلا هو ، ويجول في مجاهل البر وفي غيابات الــبحر المكشــوفة لعلمه تبارك وتعالى ، ليتبع الأوراق الساقطة من أشــجار الأرض لا يحصيها عد ، وعين الله على كل ورقة تسقط هنا وهــناك ، ويلحــظ كل حبة مخبوءة في ظلمات الأرض لا تغيب عن عيــن الله ، ويرقب كل رطب ويابس في هذا الكون الفسيح ، لا يغيب عن علم الله ﷻ منه شيء ، قال جل جلاله : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمهــا إلا هــو ويعلــم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمهــا ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ [١] .

وقــد خص الله تبارك وتعالى البر والبحر بالذكر لأنهما أعظم المخلوقــات المجــاورة للبشــر ، يعلم ما في البر من النبات والحب والنوى ، وما في البحر من الدواب ورزق ما فيها ، وما تسقط ورقة

---

[١] قبس من نور القرآن الكريم (٢ / ١٤٠) والآية رقم : ٥٩ من سورة الأنعام .

من أوراق الشجر إلا يعلم متى تسقط وأين تسقط وكم تدور في الهواء وأين تستقر ، ولا حبة إلا ويعلم متى تنبت وأين تنبت ومن يأكلها[١].

وقــدم ﷺ ذكر البر لأن الإنسان قد شاهد أحوال البر وكثرة ما فــيه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والتلال ، وكثرة ما فيها من الحيوان والنبات والمعادن ، أما البحر فإحاطة العقل بأحواله أقل ، إلا أن الحــس يــدل على أن عجائب البحار في الجملة أكثر وما فيها من أجناس المخلوقات أعجب .

وحيــن يستحضــر العقل جميع ما في وجه الأرض من المدن والقــرى والمغــاوز والجبال والتلال ، ثم يستحضر كم فيها من النجم والشجر ثم يستحضر أنه لا يتغير حال ورقة إلا والحق سبحانه وتعالى يعلمهــا ، ثم يتجاوز من هذا المثال إلى مثال أشد هيئة منه وهو قوله تعــالى ﴿ ولا حــبة في ظلمات الأرض ﴾ وذلك لأن الحبة في غاية الصغر ، وظلمات الأرض موضع يبقى أكبر الأجسام وأعظمها مخفياً فيها ، فإذا سمع أن تلك الحبة الصغيرة الملقاة في ظلمات الأرض على اتســاعها وعظمــتها لا تخرج عن علم الله تعالى البتة ، صارت هذه الأمــثلة منبهة على عظمة الله جل شأنه فهو جلت قدرته يعلم أمر كل كائن في هذا العالم ، وكل شيء في هذه الدنيا إما رطب وإما يابس ، وفيه تنبيه للمكلفين على أمر الحساب وإعلاماً بأنه لا يفوته من كــل

---

[١] تفسير القرطبي (٧ / ٤ ، ٥) .

ما يصنعون في الدنيا شيء ، لأنه إذا كان لا يهمل الأحوال التي ليس فيها ثواب ولا عقاب ولا تكليف ، فبأن لا يهمل الأحوال المشتملة على الثواب والعقاب أولى [١] .

روي أن موسى عليه السلام تعلق قلبه بأهله ، واشتغل فكره كيف يرزق الله عباده ؟ فأوحى الله إليه أن يضرب بعصاه صخرة ، فضربها فانشقت ، فخرجت منها صخرة ثانية ، فضربها فانشقت عن صخرة ثالثة ، فضربها فخرجت منها دودة صغيرة ، وفي فمها شيء من الطعام ، يجري مجرى الغذاء لها ، ورفع الله الحجاب عن سمع موسى عليه السلام ، فسمع الدودة تقول : (سبحان من يراني ، ويعلم مكاني ويسمع كلامي ، ويرزقني ولا ينساني) [٢] .

فإذا كان الله ﷻ العالم بكل شيء ، العالم مكان الحبة في ظلمات الأرض وطبقاته ، ولا يغفل عنها وهي من أضعف خلقه ، فإنه تبارك وتعالى لا يغفل عن سائر دواب الأرض وهوامها ، ولا يغفل عن أشرف مخلوقاته وهم بني البشر ، وهو جل جلاله يعلم مستقرهم ومستودعهم ، قال تعالى ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ [٣] .

---

(١) **انظر التفسير الكبير (١٣ / ١٠ ، ١١) ، وانظر تفسير الشعراوي (٦ / ٣٦٧٠ ، ٣٦٧١) .**

(٢) **غرائب القرآن للنيسابوري (١٢ / ٩) .**

(٣) **سورة هود (٦) .**

وليس المقصود بالدابة الإنسان فقط ، بل كل ما دب على ظهر الأرض من إنسان أو حيوان ، في البر والبحر ، من ماش أو زاحف فهو لفظ عام يشمل الطير والبهائم والأسماك والحيتان ، وكل مخلوق على سطح هذه الأرض ، كبيرها وصغيرها ، يعلم تعالى منتهى سيرها ، وأين تأوي إليه من وكرها وأحوالها وأغذيتها وأوكارها ، ومساكنها ، وما يوافقها وما يخالفها ، فالإله المدبر للكون وطبائع الحيوان والنبات كيف لا يكون عالماً بأحوال بني البشر كما يظن المشركون [١] .

قال ابن عباس : " ويعلم مستقرها ومستودعها " مستقرها المكان الذي تأوي إليه ليلاً أو نهاراً أو تستقر فيه وتسكن ، ومستودعها الموضع الذي تدفن فيه إذا ماتت . كل ذلك في علم الله ﷻ وقد سطره وسجله في كتاب مبين ، هو اللوح المحفوظ الذي دونت فيه الأرزاق والأقدار والأعمار [٢] .

والله تبارك وتعالى بعلمه الواسع الشامل ، الذي أحاط بكل شيء معرفة وخلقاً وصنعاً لا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وسواء في علمه ﷻ الصغير والكبير ، والشجرة والحبة ، والجبل والذرة ، الكل في علمه سواء ، وكيف يغيب عنه شيء ،

---

[١] تفسير روح البيان (٤ / ٩٦) .

[٢] قبس من نور القرآن الكريم (٥ / ١٢ ، ١٣) .

وهو جل جلاله قد علم ما في أرحام الأمهات من بنين وبنات ؟ يعلم ما تحمل كل أنثى في بطنها ، هل هو ذكر أم أنثى ، تام أم ناقص ، حسن أم قبيح ؟ يعلم كل شجرة وكل ثمرة وكل قطرة تنزل من السماء فتغيب في مجاهل الأرض ، يعلم مكانها وأين غابت ، ويعلم ما يظهر الإنسان وما يخفيه من أسرار ونوايا حتى الهواجس والخواطر التي ترد على قلبه يعلمها جل وعلا [١] .

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾ [٢] والمراد بنزول الغيث المطر ، ومن سعة علم الله ﷻ أنه ينزل الغيث في زمانه ومكانه الذي عينه في علمه من غير خطأ أو تبديل ، فقد روي مرفوعاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " ما سنة بأمطر من أخرى ولكن إذا عمل القوم بالمعاصي حوّل الله ذلك إلى غيرهم ، فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار " ، فمن أراد استجلاب الرحمة فعليه بالتوبة والندامة والتضرع إلى قاضي الحاجات بأخلص المناجاة [٣] .

---

[١] المرجع السابق (٥ / ٢٣٨ – ٢٤٠) .
[٢] سورة لقمان (٣٤) .
[٣] تفسير روح البيان (٧ / ١٠٤) ، وقبس من نور القرآن الكريم (١٠ / ٨٣) .

والله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يعلم علم يقين ماذا في الأرحام ، في كل لحظة وطور ، من فيض أو غيض ، من حمل حتى حين لا يكون للحمل حجم ولا جرم ، فإنه تبارك وتعالى يعلم مكانه في الرحم بالرغم من صغره في الأول ، وبالرغم من عتمة الرحم وخفائه ، بحيث إنه بعيد عن العيون ، ولا تدركه الأربصار ، حتى وإن حاول العلم الحديث معرفة ما في الرحم لكنه لا يعرفه إلا من جهة واحدة الذكورة والأنوثة ، ويبقى علم الله ﷻ شامل واسع فيعلم ما في أرحام جميع الأمهات على مر الزمان ، في أي مكان وأي بقعة من الأرض ، ويعلم نوع هذا الحمل وملامحه وصفاته وخواصه وكل شيء عنه ، وكم من الزمن سيعيش وأين سيسكن ؟ وكيف سيكسب رزقه ومع من سيكون ؟ ومتى وأين سيموت ؟

والله ﷻ الذي يعلم ما في الأرحام يعلم أين ستموت هذه الأجنة في أي مكان من بر وبحر وسهل وجبل ، وفي أي بلد ، وأين يقبر ، روي أن ملك الموت مر على سيدنا سليمان ؑ ، فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه ، فقال الرجل : من هذا ؟ قال : ملك الموت ، فقال: كأنه يريدني ، فمُر الريح أن تحملني وتلقيني في بلاد الهند ، ففعل ، فقال الملك : كان دوام نظري إليه تعجباً منه ، إذ أُمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك .

وفـــي هـــذا تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة ، والخروج عن المظلمة وغير ذلك [١] .

وهــذه الآيـــة مثل قوله تبارك وتعالى ﴿ **إليه يرد علم الساعة ومـــا تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** ﴾ [٢] ، فقوله وما تخرج من ثمرات أي أن ما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع في أي مكان على وجه الأرض كان إلا ملابساً بعلمه ﷻ المحيط ، واقعاً حسب تعلقه به يعلم وقت خروج الثمرة من أكمامها ومكانها وعددها وسائر ما يتعلق بها ، ووقت الحمل ومكانه وأحواله وهو في رحم الأنثى من الخراج والتمام والذكـــورة والأنوثـــة ، والحســـن والقبح وغير ذلك ، ووقت ومكان الوضع وما يتعلق به في أي بلد وأي أرض وتحت أي سماء [٣] .

ومـــثله قولـــــه جل شأنه : ﴿ **الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغـــيض الأرحـــام ومـــا تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشـــهادة الكبير المتعال . سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار** ﴾ [٤] .

---

[١] اسمع قرص الكمبيوتر ، تفسير الشعراوي قرص ٤ .

[٢] سورة فصلت (٤٧) .

[٣] تفسير روح البيان (٨ / ٢٧٦) .

[٤] سورة الرعد (٦ – ٨) .

فقولـــه ﷻ (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) ليس قاصراً على ما تحمله الأمهات في بطونهن ، بل هو عام يشمل كل أنثى من المخلوقات ، من امرأة وناقة وشاة وكل أنثى من المخلوقات الآدميات وغير الآدميات ، فعلمه ﷻ واسع ، وخلقه شامل ، يعلم الجنين وهو في بطن الأم غائب عن الأنظار أهو ذكر أم أنثى ، كامل الخلق أم ناقص ، حسن أم قبيح طويل أم قصير ، وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترتبة فيه .

فهـــو ســـبحانه وتعالى يعلم كل ذرة في البر ، وكل قطرة في الـــبحر ، ويعلم الجنين في أول مراحل تكوينه ، كيف يتخلق ، وكيف يتصـــور ، وكيف يصل إليه غذاؤه ، وهل سيستمر في بطن أمه إلى الـــتمام أم ســـيكون ســـقطاً بعـــد مضي أيام ؟ فيعلم ما تنقصه أرحام الأمهـــات بإلقـــاء الجنين قبل التمام ، كأن تلده لستة أشهر أو سبعة أو ثمانـــية ، أو تلـــده سقطاً غير متكامل الخلق ، وما تزداد على الأشهر التسعة ، وهذا معنى قوله تعالى (وما تغيض الأرحام وما تزداد) .

وكـــل شيء من الأشياء عند الله تعالى بمقدار محدود ، وبأجل معـــدود ، لا يـــزيد عنه ولا ينقص ، الخلق والرزق والقدر ، والكيف والكـــم ، الأمطار بمقدار ، والأرزاق بمقدار ، والرياح التي تنتقل من مكان لآخر بمقدار ، والثمار بمقدار والأعمار بمقدار .

وعلمه جل جلاله شامل للخفي عن الأعين والمرئي ، والمعلوم والمستور ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السمـــــاء ،

وزيـــادة في الإيضاح والبيان لعلمه الشامل الكامل ، ومعرفته بأحوال العباد ، ما خفي منها وما ظهر قال تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) أي يستوي في علمـــه كذلك من هو مستقر مختف في مكان بعيد عن الأنظار ، ومن هـــو ظاهر في الطرقات ، فعلم الله تبارك وتعالى محيط بالجميع [١] فـــي أي مكـــان كان ، أمام أعين البشر أم غائباً عنهم ، بين أيديهم أو خلفهـــم ، قـــال تعالى **﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾** [٢] .

تعـــرض العلماء إلى شرح هذه الآية فقالوا : إن ما بين اليدين أي ما أمامك ، وما خلفك أي ما وراءك ، وما بين يدي الإنسان يكون مواجهـــاً لآلة الإدراك الرائدة وهي العين ، فهو أمر يُشهد ، والذي في الخلف يكون غيباً لا يراه [٣] .

وكـــيف يغيـــب عنه تقدست أسماؤه وجل جلاله علم ذرة في الكون ، وعلـــم هذه الأشياء كلها ، وهي محصورة بين السماء والأرض ، والله تـــبارك وتعالى يخبر في أكثر من آية أن غيب السماوات والأرض له وحده وأنه عالم غيب السماوات والأرض ، فقد قال تبارك وتعالى :

---

(١) قبس من نور القرآن الكريم (٥ / ٢٣٨ – ٢٤٢) باختصار .

(٢) سورة البقرة (٢٥٥) .

(٣) تفسير الشعراوي (٢ / ١٠٩٨) .

﴿ **ولله غيب السماوات والأرض** ﴾ [١] ، وقال عز من قائل ﴿ **إن الله عالم غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور** ﴾ [٢] ، وقال جل جلاله ﴿ **إن الله يعلم غيب السماوات والأرض** ﴾ [٣] .

فهذه الآيات كلها تدل على عظمة علم الله ﷻ ، فكأن السماوات والأرض ظرف لشيء هو أنفس منهما ، والله ﷻ هو المطلع على كل هذا ، فالسماوات والأرض غيب ، وما فيهما غيب آخر ، والآيات تدل علـــى عظمة الظرف أولاً ، وعظمة المظروف ، وعظمة المظروف الذي في المظروف ، وسيظل غيب السماوات والأرض كل يوم يعطي شيئاً جديداً عظيماً دائماً ، وسيبقى الله تبارك وتعالى عالم بكل شيء ، وكـــيف لا يكون ذلك وهو جل جلاله خالق لكل شيء في الكون ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ [٤] .

ومـــن جملـــة ما خلق تبارك وتعالى الصدور ، وهو ﷻ عليم بـــذات الصدور ، كما أخبر في كثير من الآيات ، فإنه سبحانه عالم ما تخفـــون أيها الناس في نفوسكم وتضمرونه وما لم تضمروه ولم تنووه مما ستنووه وعالم بكل ما غائب عن أبصاركم في السماوات والأرض

---

[١] سورة هود : (١٢٣) ، سورة النحل : (٧٧) .

[٢] سورة فاطر (٣٨) .

[٣] سورة الحجرات (١٨) .

[٤] اسمع قرص الكمبيوتر ، تفسير الشعراوي ، قرص ٣ ، ٥ ، والآية رقم (١٤) من سورة الملك .

فاتقوه أن يطلع عليكم وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشك في وحدانية الله أو نـــبوة ســيدنا محمــد ﷺ ، أو من الشك في قدرته وسعة علمه وإحاطته بكل شيء فــ (إنه عليم بذات الصدور) (١) .

ومما يدل على سعة علمه ﷻ وشموله وإحاطته بكل شيء قوله تعــالى ﴿ **ومــا من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم** ... الآية ﴾ (٢)، فكأنه قيل : وما فرد من أفراد الدواب يستقر في قطر من أقطار الأرض ، ولا طائر من الطيور يطير بجناحيه في ناحــية مــن نواحي الجو ، إلا طوائف متخالفة ، كل أمة وطائفة منها مــثلكم (٣) ، يعلمهــا الله ﷻ على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثر أفرادها ، فيعلم ذلك كله ، وعلمه شامل لما في البر والبحر والجو من دواب وحشرات وهوام وطيور وزواحف وغيرها .

---

(١) تفسير الطبري (٢٠ / ٤٧٩) .
(٢) سورة الأنعام ( ) .
(٣) تفسير أبي السعود (٣ / ٢٠٣) .

الفصل الرابع

استواء الإنس والجن

في

عدم معرفة الغيب

وفيه مبحثان :

المبحث الأول

عدم معرفة الإنس للغيب .

المبحث الثاني

عدم معرفة الجن للغيب .

المبحث الأول

عدم معرفة الإنس للغيب

الغيب هو العقبة التي يجتازها الإنسان فيعلو درجات في الرقي وينفرد عن من لا يدرك إلا ما تدركه حواسه ، وعلم الغيب على وجه الإحاطـــة بـــه مـــن خصائص الله سبحانه وتعالى ، أما البشر فليسوا مهيئيـــن بتكوينهم هذا للاطلاع على الغيب إلا القليل منه ، وهذا القليل مـــن الغيب تحصل لهم بتعريف الله تعالى لهم إياه ، واطلاعهم عليه ، لا بقدرتهـــم الخاصـــة ، وليس بذكاء ولا جهد ، وإنما اصطفاه الله ﷻ لأناس من خلقه ، وتخصيص منه جل وعلا لهم بذلك [١] .

فالأنبياء – وغيرهم – يعلمون كثيراً من الغيب – وليس الغيب – بـــتعريف الله تعالى لهم ، فقد قال تعالى ﴿ **وما كان الله ليطلعكم على الغيـــب ولكـــن الله يجتبـــي مـــن رسله من يشاء** ﴾ [٢] . وقال جل جلالـــه ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول** ﴾ [٣] .

والمعـــنى إلا رسولاً ارتضاه واختاره واصطفاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته ، إما لكونه من مبادئ الرسالة ، وإمـــا

---

[١] الإيمان بالغيب (ص ١٣ ، ١٤) .
[٢] سورة آل عمران (١٧٩) .
[٣] سورة الجن (٢٦ ، ٢٧) .

لكونـــه من أركانها وأحكامها ، وإما ما لا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب [١] .

فقـد علـم الله ﷻ سيدنا آدم عليه السلام الأسماء كلها ، قال تعالى : ﴿ **وعلـم آدم الأسـماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسـماء هـؤلاء إن كنـتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتـنا إنك أنت العليم الحكيم** ﴾ [٢] وعلم سيدنا عيسى عليه السلام ما يأكل الناس وما يدخرون في بيوتهم ، وأخبر السيدة مريم عليها السلام بأنها ستلد غلاماً يكون وجيهاً في الدنيا والآخرة ، فقد قال تعالى ﴿ **إذ قالت الملائكـة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين** ﴾ إلى قوله جل جلاله : ﴿ **وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنـتم مؤمنيـن** ﴾ [٣] والآيـات إنما تكون من الله وقد علم الله ﷻ الرسـول ﷺ الكثـير من أمور الغيب ، مثل قوله تعالى ﴿ **ألم . غُلبت الـروم . فـي أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سـنين** ﴾ [٤] وجميع أخبار القصص الماضية التي وردت في القرآن الكريم ، وغير ذلك مما علمه الله تعالى لرسله عليهم الصلاة والسلام.

---

[١] انظر روح البيان (١٠ / ٢٠١ ، ٢٠٢) .

[٢] سورة البقرة (٣١ ، ٣٢) .

[٣] سورة آل عمران (٤٥ – ٥٠) .

[٤] سورة الروم (١ – ٥) .

فـــإن مـــن ضرورات الرسالة أن يطلع المرسل على شيء من الغيـــب ، ويخـــتلف هـــذا الاطلاع من مرسل إلى آخر حسب الزمان والمكـــان ، لكـــن الله ﷻ لم يحصر اطلاعه الغيب على الرسل ، فقد أطلع غيرهم على شيء من الغيب ، وهذا من باب الكرامات [١] .

ومن ذلك : الخضر ﵇ ، وظهر ذلك في قصته مع سيدنا موسى﵇ ومـــا جـــرى في هذه القصة من الأخبار المغيبة ، والأسرار المدهشة التـــي أطلع الله ﷻ عليها ذلك العبد الصالح سيدنا الخضر ﵇ ، ولم يعرفها موسى الكليم وهو من كبار رسل بني إسرائيل ومن أولي العزم من الرسل ، حتى أعلمه بها الخضر ﵇ ، ولله في خلقه شئون ، فقد يطلـــع المفضول على ما لم يطلع عليه الفاضل ، ويخص بعض عباده بما لم يُعلمه أخص رسله وأنبيائه ، كما في هذه القصة ، فمقام موسى الكلـــيم فـــوق مقام الخضر الولي الصالح ، وقد أطلع الله ﷻ الخضر علـــى أنباء غيبية لم يعرفها موسى بن عمران ﵇ حتى أخبره عنها الخضر ﵇ كحادثة السفينة وحادثة قتل الغلام وحادثة بناء الجدار [٢] ولهـــذا ختم الآية بقوله تعالى ﴿ **وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً** ﴾[٣] أي وما صنعت ما صنعت بإرادتي واختياري

---

[١] **الإيمان بالغيب (ص ٢٥) .**

[٢] **قبس من نور القرآن الكريم (٧ / ٩) .**

[٣] **سورة الكهف (٨٢) .**

وإنما بأمر من العليم القدير .

وهــذا الذي ذكر من إطلاع الله ﷻ بعض أنبيائه ورسله عليهم الصــلاة والسلام وغيرهم على شيء من الغيب لا يعني أن يكونوا قد اطلعــوا وعــرفوا الغيــب ، فهــذا سيدنا نوح ﷺ حين ادعى النبوة واعــترض عليه قومه وكذبوه ، رد عليهم فقال ﴿ **ولا أقول لكم عندي خزائــن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعيــنكم لــن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذاً لمن الظالميــن** ﴾ [١] فأنــا لا أقول عندي رزق الله وأمواله حتى تستدلوا بعدمهــا على كذبي ، (ولا أعلم الغيب) أي ولا أدعي في قولي إني لكــم نذيــر مبين ، إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم العلم على الغيب حتى تسارعوا إلى الإنكار والاستبعاد .

والظاهــر أنهم حين ادعى النبوة سألوه عن المغيبات ، وقالوا : إن كنــت صــادقاً في دعواك فأخبرنا عن كذا وكذا فقال : أنا أدعي النــبوة ، وقــد جئتكم بآية من ربي ولا أعلم الغيب إلا بإعلامه . ولا أقــول لكم إني ملك حتى تقولوا ما نراك إلا بشراً مثلنا ، فإن البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها [٢] . (ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم) فهذا كالدلالـــة

---

[١] سورة هود (٣١) .

[٢] روح البيان (٤ / ١١٩) .

علـــى أنهـــم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة إلى النفاق ، فقال : لا أقـــول ذلـــك لأنه من باب الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، فربما كـــان باطـــنهم كظاهـــرهم فيؤتيهم الله ملك الآخرة ، فأكون كاذباً فيما أخـــبرت بـــه ، فإنـــي إن فعلـــت ذلك كنت من الظالمين لنفسي ومن الظالميـــن لهم في وصفهم بأنهم لا خير لهم مع أن الله آتاهم الخير في الآخرة (١) .

والرســـول ﷺ ينفي عن نفسه علم الغيب ومعرفته به ، ويقول كمـــا قـــال سيدنا نوح عليه السلام في الرد على قومه ، بتعليم من الله تبارك وتعـــالى ، فقـــد قال جل شأنه ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلـــم الغيـــب ولا أقـــول لكم إني ملك إن أتبع ما يوحى إليّ قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون** ﴾ (٢) ، أي إنني بشر ، متلق فقـــط ، والإرسال بالمنهج يأتي من الله وأنا أبلغه ، ولا علم لي بموعد قـــيام الســـاعة ولا غيرها ، عالم يخبرني ويطلعني عليه الله ﷻ ، ولا أملك لنفسي لا ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله ، ولا أعلم الغيب .

فهـــو ﷺ لـــو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير ، فقد حارب وانتصـــر ، وحـــارب وانهـــزم ، وتاجر فربح ، ويسير عليه ما يسير على البشر ، ومرة يدبر الأمر الذي لم يكن فيه منهج من السماء فمرة

---

(١) **التفسير الكبير** (١٧ / ٢١٦) .

(٢) **سورة الأعراف** (١٨٨) .

يصيب ومرة يخطئ فيصحح له الله ﷻ ، لذلك يأتي القول على لسانه بأمر من الله تعالى : لو كنت أعلم الغيب لما وقعت في كل هذه المسائل [١] .

وقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب ، وهو يقول : لا تدركه الأبصار ، ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب ، وهو يقول : لا يعلم الغيب إلا الله[٢]

فإذا كان الرسول ﷺ لا يعلم الغيب ، ولم يظهره الله ﷻ إلا على جزء منه ، وهو عليه الصلاة والسلام الذي ارتضاه تبارك وتعالى واجتباه واصطفاه على سائر الخلق، فمن باب أولى نفي معرفة الغيب عن غيره ، وإن كانوا أبناء نبي من الأنبياء ، وإخوة لنبي آخر ففي قصة سيدنا يوسف ﵇ ، حين أخذ أخاه بنيامين بالصواع الذي استخرج من وعائه ، قال (روبيل) الأخ الأكبر لاخوته ﴿ **ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين** ﴾ [٣] أي وما قلنا إنه سرق إلا بظاهر علمنا بأن ذلك كذلك ، لأن صواع الملك أصيب في وعائه دون أوعية غيره ،

---

[١] تفسير الشعراوي (٧ / ٤٥١٠ ، ٨ / ٤٥١٣) .

[٢] صحيح البخاري ، ٩٧ كتاب التوحيد ، ٤ باب قول الله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) (٨ / ١٦٦) .

[٣] سورة يوسف (٨١) .

ونحـــن ما كنا نظن ولا نشعر أنه سيسرق ، ويصير أمرنا إلى هذا . وحين وجدت السرقة في رحله ونحن ننظر لا علم لنا بالغيب [١] .

وقــد رد القــرآن الكــريم على بعض مشركي قريش ، حين صدرت منهم بعض العبارات والتصرفات التي تدل على ادعائهم علم الغيب ، فنفى الله ﷻ عنهم ذلك باستفهامات إنكارية ، فمن ذلك عندما جلـــس الولـــيد بن المغيرة عند النبي ﷺ وسمع وعظه ، فتأثر قلبه بما سمع وكاد أن يسلم ، فعيره رجل من المشركين وقال له : تركت دين آبـــائك وضـــللتهم وزعمت أنهم في النار ؟ فقال الوليد : إني خشيت عــذاب الله ، فضمن له الرجل أن يتحمل عنه العذاب إن أعطاه بعض مالـــه ، فأعطاه بعض الذي ضمن له ثم بخل وقطع عنه الباقي فارتد وتولـــى عن مجلس الرسول ﷺ ولم يوف للرجل ما عاهده عليه [٢] ، فأنزل الله تعالى ﴿ **أفرأيــت الذي تولى . وأعطى قليلاً وأكدى . أعنده علـــم الغيـــب فهو يرى . أم لم يُنبأ بما في صحف موسى . وإبراهيم الـــذي وفـــى . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما ســـعى . وأن ســـعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى** ﴾ [٣] ، أي أخبرني يا محمد عن هذا الفاجر الأثيم الذي أعرض عن الإيمان ،

---

[١] **تفسير الطبري (١٦ / ٢٠٩ – ٢١٢) بتصرف .**

[٢] **التفسير الكبير (٧ / ٧٦٤) .**

[٣] **سورة النجم (٣٣ – ٤١) .**

واتباع الحق ، وأعطى لصاحبه الذي ضمن له النجاة من العذاب قليلاً مــن مالــه ، ثم ضنّ وبخل بالباقي ، هل عنده علم بالأمور الغيبية ، حــتى يعلم أن صاحبه يتحمل عنه العذاب ؟ والأسلوب أسلوب تعجيب مــن أمره الغريب ، كأنه يقول : ألا تعجب لأمره ، كأن الآخرة رهن إشارته ؟! [١] .

وكذلــك مــا رواه خَــبَّاب بن الأرت ﷺ فقال : كنت فينا في الجاهلية ، وكان لي دين على العاص بن وائل ، قال : فأتاه يتقاضاه ، فقــال : لا أعطــيك حتى تكفر بمحمد ﷺ ، فقال : والله لا أكفر حتى يميــتك الله ثم تبعث . قال : فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مــالاً وولداً فأقضيك . فأنزل الله ﷻ ﴿ **أفرأت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتيــن مــالاً وولــداً . أطلع الغيب أم اتخذ عند الحمن عهداً . كلا ســنكتب مــا يقول ونمد له من العذاب مداً . ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً** ﴾ [٢] [٣] .

وينكر الله سبحانه وتعالى على المشركين في عدم قبولهم للهدي الــذي جاءهم به الرسول ﷺ ويسألهم ، هل كان يطلب محمد ﷺ منهم أجراً عليه حتى امتنعوا عن قبوله ، أم أنه الاستكبار والعناد ؟

---

[١] قبس من نور القرآن الكريم (١٣ / ٦٦ ، ٦٧) .

[٢] سورة مريم (٧٧ – ٨٠) .

[٣] صحيح البخاري ، ٦٥ كتاب التفسير ، ١٩ سورة كهيعص ، ٣ باب قوله تعالى (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً) (٥ / ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

وإذا كـان الواقـع خلافه ، أنه لا أجر ولا غراق ، فعلام إذاً يكرهون الهدي ولا يتبعونه ؟ هل عندهم علم الغيب حتى يعلموا أن ما تخبرهم بـه مـن أمـور الآخرة والحشر والنشر باطل ، فهم يكتبون ذلك عن معـرفة ويقيـن ، وهل اطلعوا على اللوح المحفوظ ، فعلموا الحقائق جلية واضحة ، ليس الأمر كذلك فإنه لا يعلم الغيب إلا الله ، قال تعالى ﴿ **أم تسـألهم أجـراً فهـم من مغرم مثقلون . أن عندهم الغيب فهم يكتبون** ﴾ [١] .

وبالـرغم من أن الله ﷻ نفى علم الغيب عن خلقه جميعاً ، وقد جـاء ذلك صراحة في القرآن الكريم ، وواضحاً جلياً ، إلا أن الناس يتهافـتون في معرفة المستقبل الذي هو من الغيب ، ويحاولون بشتى الطـرق ، ويركضـون وراء العرافيـن والمنجميـن ويبحـثون عن المشعوذين والضاربين بالرمل [٢] وغير ذلك .

وقد قال العلماء رحمة الله عليهم : لمّا تمدّح سبحانه بعلم الغيب واسـتأثر بـه دون خلقـه ، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ، ثم استثنى من ارتضاء من الرسل ، فأودعهم ما شاء من غيبه بطـريق الوحـي إليهم ، وجعله معجزة ودلالة صادقة على نبوتهم ، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتـب

---

[١] **سورة الطور (٤٠ – ٤١) .**

[٢] **الإيمان بالغيب (ص ٦٩) .**

ويزجر بالطين ممن ارتضاه من رسول فيطلبه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مغتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه (١) .

قيل لأمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه ، لما أراد لقاء الخوارج لا تسر في هذه الساعة ، وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار . فقـــال له علـــيّ كـــرم الله وجهه : ولم ؟ قال : إنك إن سرت في هذه الســـاعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد ، وإن سرت في الســـاعة التـــي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت ، فقال سيدنا علي كرم الله وجهه : ما كان لمحمد ﷺ منجم ، ولا لنا من بعده – فـــي كلام طويل – فمن صدّقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمـــن اتخـــذ من دون الله نداً أو ضداً ، اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خـــير إلا خيرك . ثم قال للمتكلم : نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التـــي تـــنهانا عنها . ثم أقبل على الناس فقال : يا أيها الناس ، إياكم وتعلـــم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ، وإنما المنجم كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار ، والله لئن بلغني أنك تـــنظر فـــي الـــنجوم وتعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيتَ وبقيتُ ، ولأحرمـــنك العطاء ما كان لي سلطان ، ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها ، وبقي القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثابتة في الصحيح . ثم قال : لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل :

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨) .

ســار فــي الســاعة التي أمر بها المنجم ، ما كان لمحمد ﷺ منجم ، ولا لــنا من بعده ، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان . ثــم قــال : يا أيها الناس : توكلوا على الله وثقوا به ، فإنه يكفي ممن سواه [١] .

يقــول صاحب التنبؤ بالغيب : (وقد ظهرت من بني البشر في كــل عصر من العصور أناس ادعوا أن لهم القدرة على التنبؤ بالغيب وقــراءة المســتقبل ، وقــد خلعت عليهم هذه القدرة مهابة واحتراماً وتبجــيلاً بيــن الناس ، بل قد أدنتهم هذه المقدرة من مراتب الأنبياء ، وسلكتهم في عداد أولياء الله الصالحين. ولم يقف هذا الميل أو الادعاء بــالقدرة علــى كشــف الغيب عند حد الأفراد ، بل تعداهم إلى الأمم والشــعوب ، فقديمــاً بــرع الآشوريون في التنبؤ بالغيب ، وذلك عن طريق ملاحظة الكواكب والأجرام السماوية في مسالكها ، وقد مكنتهم ســماؤهم الصــافية مــن مراقبة حركاتها ، وقالوا إن لهذه الحركات دلالات على حظوظ الناس ومصائرهم .

وقــد صــدقت كثــير من التنبؤات ، ولكن بعض العرافين تنبأ نبوءات كاذبة لم يتحقق منها شيء) [٢] .

ومن المظاهر التي نراها في الوقت الحالي من اندفــاع الناس

---

(١) تفسير القرطبي (١٩ / ٢٨ ، ٢٩) .

(٢) انظر الإيمان بالغيب (ص ٢٧٨ ، ٢٧٩) .

لمعـــرفة المســـتقبل ، تهافـــتهم علـــى قراءة زاوية الأبراج والحظوظ المنتشـــرة في الصحف اليومية ، وكذلك مشاهدتها على شاشات التلفاز وينتشر في بعض البلدان الفتح في الفنجان والكف، وهذه كلها خرافات يرفضها الإسلام (١) . فقد قال ﷺ : " من أتى عرافاً فسأله عن شيء لـــم تقبل له صلاة أربعين ليلة " (٢) . والعراف هو الحازر أو المنجم الذي يدعي علم الغيب ، وقد استأثر الله تعالى به .

ومـــن المكاســـب المجتمع على تحريمها الربا و .... والكهانة وادعـــاء الغيـــب وأخبار السماء ، وعلى الزمر واللعب والباطل كله . كمـــا ذكر ابن عبد البر في كتابه الكافي . فعن أبي مسعود قال : نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن (٣) .

وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان ، ولقـــد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاءوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافيـــن فـــبهرجوا علـــيهم بالمُحال ، واستخرجوا منهم الأموال ، فحصـــلوا مـــن أقوالهم على السراب والآل ، ومن أديانهم على الفساد والضـــلال ، وكـــل ذلك من الكبائر – هكذا قال علماؤنا – لقوله عليه الصلاة والسلام : " لم تقبل لهم صلاة أربعين ليلة " فكيف بمن اتخذهم

---

(١) انظر الإيمان بالغيب (ص ٧٠) .

(٢) صحيح مسلم ، ٣٩ كتاب السلام ، ٣٥ باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، حديث ٢٢٣٠ (٤ / ١٧٥١) .

(٣) صحيح البخاري ، ٣٤ كتاب البيوع ، ١١٣ باب ثمن الكلب (٣ / ٤٣) .

وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم [١] .

عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ (ليسوا بشيء) قالوا : يا رسول الله فـإنهم يحدثـون أحياناً الشيء يكون حقاً . قال رسول الله ﷺ : " تلك الكلمـة من الجن ، يخطفها الجني فيَقُرَّها في أذن وليه قر الدجاجة ، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة [٢] .

---

(١) تفسير القرطبي (٧ / ٣ ، ٤) .

(٢) صحيح مسلم ، ٣٩ كتاب السلام ، ٣٥ باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، حديث ٢٢٢٨ (٤ / ١٧٥٠) .

المبحث الثاني

عدم معرفة الجن للغيب

علـم الغيـب على وجه الإحاطة به من خصائص الله سبحانه وتعالى ، أما البشر فليسوا مهيئين للاطلاع على الغيب إلا القليل منه ، وليس البشر وحدهم هم الممنوعون عن علم الغيب المطلق ، بل حتى الملائكـة والجـن ممنوعون عن هذا ، رغم أنهم يعرفون بعض ما لا نعـرفه ، لأن الأمر نسبي [١] ، ولهذا فإنهم يُلقون إلى الإنس بعض العلوم والأخبار ، ويمكن تقسيم ذلك إلى قسمين :

القسـم الأول : مـا يـتعلق بالأمور الغيبية : وهذا إما أن يكون من المغيـبات التـي اسـتأثر الله بعلمها ، وقد تقدم في المبحث الأول من الفصـل الثاني أن هذا من اختصاص الله ﷻ ، ولا يمكن لأي مخلوق أن يعرف عنه شيئاً ، سواء كان في ذلك الملائكة أو الجن أو الإنس ، لأن الآيات القرآنية قد أخبرت أن علم ذلك لله وحده دون سواه .

وإمـا أن يكـون مـن المغيبات التي قضى الله ﷻ أمرها في السـماء ، وأصـبحت معلومة لذوي الاختصاص من الملائكة أو من البشر ، مما يطلع الله عليه من شاء من رسله ، فيستمع مسترق السمع مـن الجن الكلمة ، وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقي الكلمة ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها الكاهن مائة كذبة .

---

[١] الإيمان بالغيب (ص ١٣) .

فالجـــن لا يعلمون هذا النوع من المغيبات بدلالة استراقهم للسمع وهم يحـــاولون معرفة الغيب والعلم به ، وقد أخبر القرآن الكريم في قصة مـــوت النبي سيدنا سليمان ﷺ أن الجن لا يعلمون الغيب [١] . قال تعـــالى ﴿ **فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فـــي العـــذاب المهين** ﴾ [٢] أي فلما حكمنا على سليمان بالموت حتى صـــار كالأمر المفروغ منه ووقع به الموت ، ما دل الجن على موته إلا دابـــة الأرض تـــأكل منسأته ، وذلك أنه كان متكئاً على المنسأة ، وبقـــي كذلـــك خافـــي الحـــال إلى أن سقط ميتاً لانكسار العصا لأكل الأرضـــة إياهـــا ، فعلـــم موته بذلك ، وكان سأل الله تعالى ألا يعلموا بموته حتى تمضي عليه سنة .

وفي الخبر أن ملك الموت كان صديقه ، فسأله عن آية موته ، فقـــال : أن تخرج من موضع سجودك شجرة يقال لها الخرنوبة ، فعلم يكـــن يوم يصبح فيه إلا تنبت في البيت المقدس شجرة ، فيسألها : ما اسمك ؟ فتقول الشجرة : اسمي كذا وكذا ، فيقول : ولأي شيء أنت ؟ فـــتقول : لكـــذا ولكـــذا ، فـــيأمر بهـــا فتقطع ، ويغرسها في بستان له ، ويأمر بكتب منافعها ومضارها واسمها وما تصلح له في الطب ،

---

(١) **عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة لعبد الكريم نوفان فواز عبيدات (ص ٣٦٧) .**

(٢) **سورة سبأ (١٤) .**

فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة نبتت بين يديه ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : الخرنوبة . قال : ولأي شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا المسجد ، فقال سليمان ﷺ : ما كان الله ليخربه وأنا حي ، أنت التي على وجهك هلاكي وهلاك بيت المقدس . فنزعها وغرسها في حائطه ، ثم قال : اللهم عم عن الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، فقد كانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ،وأنهم يعلمون ما في غد . ثم لبس كفنه وتحنط ودخل المحراب وقام يصلي واتكأ على عصاه على كرسيه ، فمات ولم تعلم الجن إلى أن مضت سنة وتم بناء المسجد (١) . وقيل : هذا أحسن ما قيل في الآية. ويدل على صحته الحديث المرفوع عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: كان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيسألها : ما اسمك ؟ فإن كانت لغرس غرست ، وإن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو يصلي ذات يوم إذا شجرة نابتة بين يديه قال : ما اسمك ؟ قالت : الخرنوبة . فقال : لأي شيء أنت ؟ فقالت : لخراب هذا البيت ، فقال : اللهم عمِّ عن الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، فنحتها عصا فتوكأ عليها حولاً لا يعلمون فسقطت ، فعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، فنظروا مقدار ذلك فوجدوه سنة (٢) .

---

(١) تفسير القرطبي (١٩ / ٢٧٨ ، ٢٧٩) .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣١٦٤) .

إذاً فالقسم الأول بنوعيه ، المغيبات التي استأثر الله بعلمها والمغيبات التي قضى الله أمرها في السماء ، لا يعلمها الجن ، فحين توفي سليمان عليه السلام كان قائماً بين الجن وهم بين يديه يعملون له ، فلم يعلموا بموته وظلوا يعلمون فيما أمرهم به ، فلما علموا بموته أخلوا مكانهم ومضوا إلى حيث يشاؤون ، ولو كانوا يعلمون الغيب لعلموا أن سليمان عليه السلام قد مات حتى لو كان بعيداً عنهم ، فكيف وهو تحت بصرهم وسلطانهم .

والقسم الثاني : وهو ما يتعلق بالعلوم والأخبار التي تتعلق بالأمور المشهودة أو الأخبار عن الوقائع الماضية .

وبالنسبة لهذا القسم فإن الجن يمكن أن تخبر به الإنس ، لأن الجن عندهم القدرة على الانطلاق في آفاق فسيحة والتنقل بين الأماكن البعيدة ، لما ميزهم الله بذلك عن الإنسان ، فمثلاً قد يسافر رجل من بلد إلى بلد آخر ويحمل بعض الأغراض معه ، فإن الجن بحكم تنقلهم السريع يمكن أن يخبروا شخصاً آخر ممن يتصلون به عن الساعة التي تحرك فيها ، وفي أي شيء يركب ، وما هي الأغراض التي يحملها ، فيكون هذا بالنسبة للإنسان غيباً من الغيوب ، لكونه لم يشاهده ، ولم يبلغه بطريق من الطرق المعتادة ، وأما بالنسبة للجن فهو واقع محسوس ، وهو في واقع الأمر ليس من علم الغيب ، وإنما هو مشاهدة ، حيث كان عن واقع محسوس يراه الجن رأي العين ،

فهو حضور بالنسبة للجن ولكن غيب بالنسبة للإنسان البعيد عن موقع الحـدث ، حيث يرى الجن – ولا نرى نحن البشر – ما وراء الأبواب الموصدة ونحوها [١] .

وقد يخبرون الإنس عن الوقائع الماضية بحكم أعمارهم الطويلة التـي تزيد على أعمار الإنس ، فقد يخبرون شخصاً يعيش اليوم عن حـدث وقـع قبل مائة عام أو أكثر وقد يموت الميت ويبقى قرينه من الجن ، فيخبرون عن أحوال الميت .

وهـذا الإخـبار مـن قبل الجن للإنس عن الأحوال الماضية والأمـور المغيـبة عن الإنسان قد يكون الجني فيها صادقاً وقد يكون كاذبـاً . ومـن جهة أخرى فإنه لا يصح الوثوق بشيء من أخبارهم لانعـدام مقاييس تحديد الصادقين والكاذبين منهم بالنسبة إلينا ، لكونه عالماً مغيباً عنا ، ولفجور من تلقي إليهم الجن بهذه الأخبار فيذيعونها بدورهم بين الناس ، مع ما يصطنعوه من قبل أنفسهم من الكذب [٢] .

وقـد كان الجن قبل مبعث الرسول ﷺ يقعدون مقاعد لاستماع أخـبار السـماء وهم المردة من الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكـة أخـبار السـماء حتى يلقوها إلى الكهنة ، فحرسها الله ﷻ بالشهب المحرقة ، قال تعالى ﴿ **وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن**

---

[١] عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة (٣٧٢) .

[٢] انظر عالم الجن (ص ٣٧٢ ، ٣٧٣) .

يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ [١] تقول الجن : أنا طلبنا بلوغ السماء لاستراق السمع منها ، فوجدناها قد ملئت بالملائكة الشداد الذين يحرسونها ، وبالشهب المحرقة التي تقذف من يحاول الاقتراب منها ، فقد كنا قبل بعثة محمد ﷺ نصعد إلى السماء فنسترق السمع مما يدور بين الملائكة من شئون الخلق ، فنلقيه إلى الكهان ، فمن يحاول الآن استراق السمع يجد له شهاباً ينتظره فيمحقه ويهلكه [٢]. وقد كانت الشياطين لا يحجبون عن السماء ، فكانوا يدخلونها ويلقون أخبارها على الكهنة ، فيزيدون عليها تسعاً ، فيحدثون بها أهل الأرض ، الكلمة حق والتسع باطل ، فإذا رأوا شيئاً مما قالوه صدقوهم مما جاؤوا به ، فلما ولد عيسى بن مريم عليهما السلام ، منعوا من ثلاث سماوات ، فلما ولد الرسول ﷺ منعوا من السماوات كلها ، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رُمي بشهاب [٣] .

وهذه الآية مثل قوله تعالى **﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد . لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب . دحوراً ولهم عذاب واصب . إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴾** [٤] .

---

(١) تفسير القرطبي (١٩ / ١٢) والآية من سورة الجن (٩) .

(٢) قبس من نور القرآن الكريم (١٥ / ١١٨)

(٣) تفسير القرطبي (١٠ / ١٠) وانظر عالم الجن (ص ٣٤٣ – ٣٦٢) .

(٤) سورة الصافات (٦ – ١٠) .

أي زينا هذه السماء القريبة منكم بالكواكب المنيرة المضيئة، لتستمتعوا برؤيتها ، وتستفيدوا من ضيائها في أسفاركم ، وللحفظ من كل شيطان مـــتمرد ، خارج عن طاعة الله ﷻ ، إذا أراد أن يسترق السمع ، أتاه شهاب ثاقب فأحرقه ، فإذا أراد الجني أن يتسمع إلى الملائكة الذين هم في السماوات العلى رجم بالشهب من كل جهة ، طرداً له عن السماع ولهم في الآخرة عذاب دائم مستمر لا ينقطع ، ومن اختلس منهم شيئاً مـــن كلام الملائكة تبعه شهاب مضيء ، نافذ بضوئه وشعاعه فأحرقه حرقاً [١] .

---

[١] قبس من نور القرآن الكريم (١١ / ٥٨ ، ٥٩) .

الخاتمة

أحمد الله ﷻ العليم الخبير ، الذي أعانني على إتمام هذا البحث ووفقني على إخراجه بهذه الصورة ، التي ما ألوت جهداً في أن تكون صورة شاملة عن علم الغيب في القرآن الكريم ، لكني بشر أصيب وأخطئ ، فإن أصبت فمن عند الله ﷻ الذي له الفضل والمنة أولاً وآخراً ، وإن أخطأت فبتقصير مني ومن الشيطان الرجيم .

وجميع ما وفقني الله ﷻ لجمعه وكتابته ، ما هو إلا مقدار ضئيل من علمه تبارك وتعالى ، الذي أحاط ووسع السماوات والأرض وما فيهن .

ولعل بحثي هذا قد نبهني وأيقظ في شعور المراقبة لتصرفاتي وأقوالي ، بعد إدراكي لسعة علم الله ﷻ وأنه يعلم السر وأخفى ، فهو تبارك وتعالى الذي يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، والذي يعلم ذلك يعلم أكثر منه وأعظم .

وقد حاولت أن ألم بجميع جوانب الموضوع إلا أنني لم أوف الموضوع حقه ، فقد كان مختصراً . فقد جاء بحثي في أربعة فصول

فتحدثت في الفصل الأول عن معنى الغيب لغة واصطلاحاً في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وفي اصطلاح العلماء ، ثم انتقلت إلى معنى علم الغيب ، ومنه إلى معنى الشهادة واستواء علم الله تعالى في الغيب والشهادة وفي السر والعلانية .

وخصصت الفصل الثاني لانفراد الله ﷻ بمعرفة الغيب ، وهذا من كمال قدرته ، ووحدانية ربوبيته وألوهيته ، والعلة في هذا الانفراد وبيان ضعف المخلوقات وعجزهم .

وكـــان الفصل الثالث عن شمول علم الله ﷻ للغيب بكل أنواعه وإحاطـــة علمـــه تبارك وتعالى بكل شيء في المكان أو الزمان ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر **﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾** [١] .

أمـــا الفصل الرابع والأخير فقد كان عن استواء الإنس والجن فـــي عدم معرفة الغيب ، وإن حاول البشر وساعدهم على ذلك التطور الحديـــث فـــي الصناعات والاختراعات وغير ذلك ، وإن بلغت قدرة الجـــن فـــي التنقل السريع ، والانطلاق في آفاق فسيحة ، ومعرفة ما وراء الجدار .

إلا أنـــه يـــبقى قـــول الله ﷻ **﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيـــب إلا الله ﴾** [٢] الدلـــيل الواضح في عجز المخلوقات وضعفهم وعدم إحاطتهم بما انفرد به الله ﷻ .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل التقوى والإخلاص حليتنـــا ،

---

[١] سورة الملك (١٤) .

[٢] سورة النمل (٦٥) .

وأن ينقي سرائرنا ويطهر قلوبنا ، ويجعل سرائرنا خير من علانيتنا ، وأن يحفظــنا ظاهــراً وباطناً ، وأسأله سبحانه أن يقويني على مراقبة نفسي إنه نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



الجن



تمهيد

تعريف الجن :

الجن في اللغة : يطلق الاجتنان في اللغة على معنى الاستتار والخفاء ، ومنه أخذت تسمية هذا الخلق الآخر الجن .

قال الجوهري في الصحاح : الاجتنان الاستتار [١] .

والجن نوع من العالم سُموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار ، ولأن الناس لا يرونهم فلا يرون ، والجمع جنان ، وهم الجنة [٢] .

وجن الشيء يجنه جناً: يستره ، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك[٣]

والمجــن : الترس وكل ما استتر به الإنسان من درع وغيره كالخرقة التي تغطي بها المرأة رأسها فهو جنة ، يقال : استجن بجنة أي استتر بسترة [٤] .

والجَــنة بالفتح : البستان والحديقة ذات الشجر والنخل وجمعها جنات وجنان [٥] .

والجِنة بالكسر : الجن ويمكن أن يطلق أيضاً على الجنون الذي يصاب به الإنسان بفعل الجن [٦] .

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة جنن (٥ / ٢٠٩٥) .

(٢) لسان العرب ، مادة جنن (١٣ / ٩٢) .

(٣) المصدر نفسه (ص٩٢) .

(٤) المصدر نفسه (ص٩٤) .

(٥) المصدر نفسه (ص٩٩ – ١٠٠) .

(٦) المثلث (١ / ٤١٧) .

والمجنة الموضع الذي يستتر فيه [١] .

وجنان الليل : إدلهمامه وستره الأشياء [٢] .

يقال : واراه جنان الليل : أي ظلمته [٣] .

قال تعالى ﴿ **فلما جن عليه الليل رأى كوكباً** ﴾ [٤]

وجن عليه الليل وأجنه الليل : إذا أظلم حتى ستره بظلمته [٥] .

والجـــنان : القلب ، لاستتاره في الصدر ، وقيل لوعيه الأشياء وجمعه لها ، وقيل الجنان : روع القلب ، وذلك أذهب في الخفاء [٦] .

ويطلق كذلك لفظ الجنان على الثوب ، والحريم ، والروح ، وجوف ما لم يُرى [٧] .

والجنن : القبر ، ويطلق أيضاً على الميت نفسه كما يطلق على الكفن الذي يكفن فيه ويجمع على أجنان [٨] .

---

[١] **الصحاح (٥ / ٢٠٩٥) .**

[٢] **مجمل اللغة ، مادة جن (١ / ١٧٥) .**

[٣] **أساس البلاغة (ص ١٠٢) .**

[٤] **سورة الأنعام (٧٦) .**

[٥] **لسان العرب (١٣ / ٩٢) .**

[٦] **المصدر السابق نفسه .**

[٧] **القاموس المحيط ، مادة جنن (ص١٥٣٢) .**

[٨] **لسان العرب (١٣ / ٩٣) .**

والجنين : الولد مادام في بطن أمه سمي بذلك لاستتاره فيه وجمعه أجنة وأجنن (١) .

والجان : اسم جمع للجن (٢) ، قال تعالى مخبراً عن صفة نساء الجنة ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ (٣) .
ويطلق كذلك على نوع من الحيات أكحل العينين كثير في بيوت الناس لا يؤذي (٤) .
وفي الحديث أنه " نهى عن قتل الجنان " (٥) .

وهكذا يتضح مما سبق بيانه أن لفظة " جن " تفيد معنى الاستتار والخفاء .

الجن في الاصطلاح :

يختلف الجن في كيفيته وماهيته عن الإنس فهم غير مماثلي الإنس على الحد والحقيقة إلا أنهم يشاطرون الإنس ويشاركونهم في جنس التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم ، قال تعالى ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ (٦) .

---

(١) لسان العرب (١٣ / ٩٣) .
(٢) القاموس المحيط (ص ١٥٣٢) .
(٣) سورة الرحمن (٧٤) .
(٤) القاموس المحيط (ص ١٥٣٢) .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٤ / ٢٣٣) .
(٦) سورة الذاريات (٥٦) .

وعليه فقد عرفوا بأنهم " نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الإنسان ، مجردون عن المادة ، مستترون عن الحواس ، لا يرون على طبيعتهم ولا بصورتهم الحقيقية ولهم قدرة على التشكل ، يأكلون ويشربون ويتناكحون ولهم ذرية ، محاسبون على أعمالهم في الآخرة " (١) .

وعرفوا أيضاً بأنهم " أجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية والهوائية " ، وقيل " بأنهم نوع من الأرواح المجردة " ، وقيل : هي النفوس البشرية المفارقة لأبدانها (٢) .

إلا أن التعريف الأول أعم وأشمل ذلك أنه يشير إلى أبرز صفات هذا الجنس من حيث أصله وحقيقته وحياته وطبيعته وهي الصفات التي سوف أتعرض لها بشيء من التفصيل عند الحديث عنها في موضعه من هذا البحث إن شاء الله تعالى .

---

(١) العقائد الإسلامية (ص١٣٣) .

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٥ / ٣٠٢) .

العلاقة بين الجن والشيطان

الجـن عـالم مكلف حدثنا عنه القرآن بهذا اللفظ " الجن " في مواضـع مـتعددة كقولــه تعالى ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يسـتمعون القرآن** ﴾ [١] وقوله سبحانه ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن اسـتطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ [٢] . بل إن هذا اللفظ سميت به سورة كاملة من سور القرآن الكريم ألا وهي سورة الجن .

كما ورد هذا اللفظ في الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله تعـالى علـيه وآله وصحبه وسلم كما في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : " إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة " [٣] .

وقولــه صـلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الآخر الذي رواه ابـن مسعود وفيه " أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن [٤] .

---

[١] سورة الأحقاف (٢٩) .

[٢] سورة الرحمن (٣٣) .

[٣] فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦ / ٣٤٣) .

[٤] صحيح مسلم (٤ / ١٧٠) .

والشيطان لفظ آخر أستعمل في القرآن كثيراً وتردد في مواضع منه بصيغة المفرد والجمع كما في قوله جل وعلا ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ (١) .

وقوله ﴿ **وما هو بقول شيطان رجيم** ﴾ (٢) .

وقولـــــه ﴿ **شـــياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً** ﴾ (٣) .

كمـــا ورد هذا اللفظ في السنة كقوله صلى الله تعالى عليه وآله وســـلم فـــي الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص وفيه قول الرسول صـــلى الله تعالى عليه وآله وسلم مخاطباً عمر بن الخطاب رضي الله تعـــالى عـــنه : " والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك " (٤) .

وكقولـــــه صـــلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة " يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ ولينته " (٥) .

---

(١) **سورة النمل (٩٨) .**

(٢) **سورة التكوير (٢٥) .**

(٣) **سورة الأنعام (١١٢) .**

(٤) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦ / ٣٣٩) .**

(٥) **المرجع السابق (ص٣٣٦) .**

فهـل هـذان اللفظان " الجن " و" الشيطان " جنس واحد وعليه فهما اسمان لمسمى واحد أم الشيطان نوع والجن نوع آخر !

إن المتتبع لكلام أهل العلم وأقوالهم حول هذه المسألة يرى أنهم اختلفوا في ذلك فمنهم من قال : إن الجن أولاد إبليس ومنهم – أي من الجن – مؤمنون وكافرون وهم شركاء في الثواب والعقاب " فمن آمن منهم فهـو ولي الله ومن كفر فهو شيطان " وقد ذهب إلى هذا الرأي الحسن البصري رحمه الله [١] .

ورجح شيخ الإسلام – قدس الله روحه – أن إبليس أصل الجن وأبوهم [٢] وإبليس رأس الشياطين .

وذهـب الـرازي – رحمـه الله – في التفسير الكبير إلى أن الشياطين قسم من الجن [٣] .

كمـا ذهـب ابن حجر – رحمه الله – إلى أنهما نوع واحد من أصل واحد اختلف صنفه باعتبار الكفر والإيمان فمن كفر فهو شيطان ومن آمن فلا يقال له ذلك [٤] .

وقيل : إن الجن أولاد الجان منهم الكافر ومنهم المؤمن وهـم

---

[١] الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٦) .
[٢] مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية (٤ / ٢٣٥ – ٢٤٦) .
[٣] التفسير الكبير (١٩ / ١٨٠) .
[٤] فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦ / ٣٤٤) .

يموتون والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا معه وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه في رواية [١] .

وبالـــنظر إلى هذه الأقوال نجد أن أكثر أهل العلم ذهب إلى أن الشياطين نوع من الجن اختصوا بهذا اللفظ لكفرهم بخلاف غيرهم من الجن – كمؤمنيهم – فلا يقال لهم ذلك فلفظ الجن إذاً يشمل أنواعاً عدة والشيطان نوع منها .

وعليه فالجن والشيطان اسمان لمسمى واحد .

---

[١] الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ٥) .

الباب الأول

الفصل الأول

وجود الجن

المبحث الأول : دلالة القرآن الكريم

المبحث الثاني : دلالة السنة النبوية المطهرة .

المبحث الثالث : الإجماع .

الفصل الثاني

خلق الجن وصفاتهم

المبحث الأول : ابتداء خلق الجن .

المبحث الثاني : أصل المادة التي خلقوا منها .

المبحث الثالث : أصنافهم ومراتبهم .

المبحث الرابع : أجناسهم وتناسلهم .

المبحث الخامس : أماكن تواجدهم على هذه الأرض .

المبحث السادس : طعامهم وشرابهم .

المبحث السابع : موتهـم .

الفصل الأول

وجـود الجـن

المبحث الأول

دلالة القرآن الكريم

المبحث الثاني

دلالة السنة النبوية المطهرة

المبحث الثالث

الإجمـاع

وجود الجن

مــن صفات المؤمنين المتقين الإيمان بالغيب وهو ما لا يدرك بــالحواس كالجنة والنار والملائكة والصراط وغير ذلك مما غاب عن العــباد ، وأخبر عنه القرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مما لا يتوصل ولا يهتدى إليه بالعقول .

قال القرطبي قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه : ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ " الذين يؤمنون بالغيب " [١]

وهو الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر لأنه تصديق مجرد لله ولرســوله صــلى الله تعــالى عليه وآله وسلم كما قال السعدي في تفسيره [٢] .

والجــن من ذلك الغيب فقد استفاض ذكرهم في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواضع متعددة وكثيرة تنطق بوجودهم وأنهم ذوات متمــيزة يــأكلون ويشربون ولهم ذرية وفيهم مؤمنون وكافرون وأنهم يموتــون ويبعــثون فيحاسبون على أعمالهم التي اكتسبوها في الحياة الدنيا فإما إلى جنة وإما إلى نار .

كما أقر بوجودهم جمهور طوائف الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم وتفصيل ذلك أتناوله في مباحث هذا الفصل .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١ / ١١٨) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١ / ١٨) .

المبحث الأول

دلالة القرآن الكريم

جاءت آيات كثيرة تقرر وجود هذا العالم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ – قـال الله تعـالى ﴿ **والجـآن خلقـناه مـن قبل من نار السموم** ﴾ [١] .

٢ – وقـال أيضـاً ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يـأتوا بمـثل هـذا القـرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾ [٢] .

٣ – وقال ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [٣] .

٤ – وقال ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ [٤] .

٥ – وقـال تـبارك وتعالى ﴿ **فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس قبلهم ولا جآن** ﴾ [٥] .

---

[١] سورة الحجر (٢٧) .

[٢] سورة الإسراء (٨٨) .

[٣] سورة الذاريات (٥٦) .

[٤] سورة الرحمن (٣٣) .

[٥] سورة الرحمن (٣٩) .

٦ – وقـــال سبحانه أيضاً ﴿ **وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون** ﴾ [١] .

هذا وسوف يرد ذكر بعض الآيات في ثنايا هذا البحث إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة النمل (١٧) .

المبحث الثاني

دلالة السنة النبوية المطهرة

١ – عـن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم " [١] .

٢ – عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال لي رسـول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إني أراك تحب الغنم والـبادية فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالـنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة " [٢] .

وبمـا أنـني سوف أتحدث عن خلق الجن وصفاتهم من حيث أصـل المادة التي خلقوا منها وأصنافهم وأجناسهم وما يتعلق بطعامهم وشـرابهم وموتهم فإنني أكتفي بذكر هذين الحديثين المتقدمين في هذا المبحـث وذلـك لأن قسـماً كبـيراً من هذه الأحاديث التي تدل على وجودهـم سـوف يـتم الاستشهاد بها في أبواب وفصول هذا البحث تحاشياً للتكرار .

---

[١] **مسند الإمام أحمد (١٧ / ٥٧٦) .**

[٢] **فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ص ٨٧ – ٨٨) .**

المبحث الثالث

الإجماع

حكى ابن تيمية رحمه الله تعالى الإجماع على وجود هذا العالم الغائب عن الحواس العاقل المكلف المميز الذي لا يرى على حقيقته التي خلقه الله عليها حيث قال : " لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمداً صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن ، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين وإن وجد منهم من ينكر ذلك . وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك كالجهمية والمعتزلة وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار (١) .

وحكى إمام الحرمين أيضاً فيما نقله عنه بدر الدين الشبلي إجماع كافة العلماء في عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين والاستعاذة بالله من شرورهم (٢) قال " ولا يراغم مثل هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين " (٣) .

---

(١) مجموع فتاوي ابن تيمية (١٩ / ١٠) .

(٢) أحكام الجان (ص١٦) .

(٣) المصدر السابق نفسه .

الفصل الثاني

خلق الجن وصفاتهم

المبحث الأول : ابتداء خلق الجن .

المبحث الثاني : أصل الجن التي خلقوا منها .

المبحث الثالث : أصنافهم ومراتبهم .

المبحث الرابع : أجناسهم وتناسلهم .

المبحث الخامس : أماكن تواجدهم على هذه الأرض .

المبحث السادس : طعامهم وشرابهم .

المبحث السابع : موتهم .

المبحث الأول

ابتداء خلق الجن

قال سبحانه وتعالى ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ [١] .

هـــذه الآية نص صريح على أن الله تعالى خلق الجان قبل خلق الإنسان ، قال ابن كثير : قال كثير من علماء التفسير خلقت الجن قبل آدم عليه السلام [٢] .

وهـــم أول من سكن الأرض فعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعـــالى عـــنه قال : كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفـــي ســـنة فأفســـدوا في الأرض وسفكوا الدماء فبعث الله جنداً من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوا بجزائر البحور [٣] .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قولـــه تعالى " إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فـــيها ويســـفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمـــون .. إلى قولـــه تعالى " وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون " قال : خلق الله الملائكة يوم الأربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلـــق

---

(١) سورة الحجر (٢٦ – ٢٧) .

(٢) البداية والنهاية (١ / ٥٥) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (١ / ٧٤) .

آدم يــوم الجمعــة فكفر قوم من الجن فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم ببغيهم وكان الفساد في الأرض فمن ثم قالوا : أتجعل فــيها مــن يفســد فيها من الإنس كما أفسدت الجن ويسفك الدماء كما سفكوا " [١] .

والله تعالى أعلى وأعلم .

---

[١] المصدر السابق نفسه .

المبحث الثاني

أصل المادة التي خلقوا منها

ورد التصريح بذكر المادة التي خلق منها الجن وهي النار في القــرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قال تعالى ﴿ **وخلق الجان من مارج من نار** ﴾ [١] وقال تعالى حكاية عن " إبليس ﴿ **خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ [٢] وقال تعالى ﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ [٣] .

أمــا فـــي السنة المطهرة فقد روى في صحيح مسلم من حديث عــروة عــن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله تعــالى علــيه وآله وسلم : " خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم " [٤] .

وقــد بين أهل العلم ماهية هذه المادة وطبيعتها فقال ابن عباس رضي الله عنهما : المارج : اللهب[٥] ، وعنه أيضاً في رواية خالص النار [٦] .

---

[١] سورة الرحمن (١٥) .
[٢] سورة الأعراف (١٢) .
[٣] سورة الحجر (٢٧) .
[٤] صحيح مسلم (ص ١٢٩٥) .
[٥] الجامع لأحكام القرآن (١٧ / ١٠٥) .
[٦] تفسير القرآن العظيم (٤ / ٢٩١) .

وقـــال رضـــي الله عــنهما أيضاً : إنه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض أحمر وأصفر وأخضر [١] .

وقال الليث : المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد .

وقـــال أبو عبيدة والحسن : المارج خلط النار وأصله من مرج إذا اختلط .

وقال القشيري : المارج في اللغة المرسل أو المختلط [٢] .

وكـــل هـــذه الأقوال متقاربة المعنى ، والجن ليسوا باقين على عنصـــرهم الذي خلقوا منه أصلاً وهو النار بدليل قول النبي صلى الله تعـــالى علـــيه وآلـــه وسلم : " إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي " [٣] .

وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " رأيت ليلة أسري بي عفريـــتاً من الجن يطلبني بشعلة من نار كلما التفت رأيته " [٤] بيان الدلالة منه أنهم لو كانوا باقين على عنصرهم الناري وأنهم نار محرقة لمـــا احـــتاجوا إلى أن يأتي الشيطان والعفريت منهم بشعلة من نار ، ولكانت يد الشيطان أو العفريت أو شيء من أعضائه إذا مس ابن آدم

---

[١] الجامع لأحكام القرآن (١٧ / ١٠٥) .
[٢] المصدر السابق نفسه .
[٣] صحيح مسلم بشرح النووي (٥ / ٣٠) .
[٤] الموطأ (ص ٩٥٠ ، ٩٥١) .

أحرقه كما تحرق الآدمي النار الحقيقية بمجرد اللمس .

فـدل ذلك على أن تلك النار انغمرت في سائر العناصر حتى صار البرد ربما كان هو الغالب في بعض الأحيان إما للأعضاء نفسها أو لما تحلل من البدن كاللعاب [١] .

فالجن إذاً كما تقدم معنا خلقوا من النار وهي عنصرهم الأصلي إلا أنهـم خرجوا عن كونهم ناراً حقيقية إلى نوع آخر قابل للحياة كما هـو الشـأن بالنسبة للإنسان الذي خلق من الطين ثم خرج عن كونه طيناً حقيقية والله تعالى أعلم .

---

[١] أحكام الجان (ص٢٩) .

المبحث الثالث

أصنافهم ومراتبهم

الجن على ثلاثة أصناف هي :

١ – صنف له أجنحة يطيرون بها في الهواء .

٢ – صنف حيات وكلاب .

٣ – صنف يحلون ويظعنون [١] .

والدليل على ذلك حديث أبي ثعلبة الخشني قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون " .

وهذا التصنيف والتنوع واختلاف كل صنف من هذه الأصناف عن الآخر لا يعني اختلاف المادة التي خلقوا منها بل جميع هذه الأصناف مخلوقة من النار لقوله تعالى ﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ [٢] ، ثم إنهم منزلون على مراتب ذكرها ابن عبد البر فيما نقله عنه بدر الدين الشبلي قال ابن عبد البر : الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان منزلون على مراتب :

---

(١) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير (١ / ١٤٥) .

(٢) سورة الحجر (٢٧) .

فإذا ذكروا الجن خالصا قالوا جني .

فإن أرادوا أنه ممكن يسكن مع الناس قالوا : عامر والجمع عمار .

فإن كان ممن يعرض للصبيان قالوا : أرواح .

فإن خبث وتعزم فهو شيطان .

فإن زاد على ذلك فهو مارد .

فإذا زاد على ذلك وقوي أمره قالوا عفريت والجمع عفاريت [١] .

---

(١) أحكام الجان (ص٢٢) .

المبحث الرابع

أجناسهم وتناسلهم

قال تعالى﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** ﴾ (١)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : أي جميع المخلوقات أزواج والجن خلق من خلق الله قطعاً فيكون داخلاً في هذا التعبير (٢)

وقـــال تعالى ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً** ﴾ (٣) .

ففي الآية تصريح بوجود الرجال من الجن ومتى وجد الرجال وجد الإناث حتماً .

وقال تعالى ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ (٤)

قـــال القرطبي في هذه الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيات (٥) .

وقـــال تعالى ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني**

---

(١) سورة الذاريات (٤٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٢٥٤) .

(٣) سورة الجن (٦) .

(٤) سورة الرحمن (١٥) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧ / ١١٨) .

وهم لكم عدو ﴾ [١] :

قـــال بدر الدين الشبلي : " وهذا يدل على أنهم يتناكحون لأجل الذريـــة " [٢] . والذريـــة لا تكون إلا من طريق التزاوج بين الذكور والإناث .

ومـــن الســـنة حديث أنس الذي رواه عبد العزيز بن صهيب قال : سمعت أنساً يقول : كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا دخل الخلاء قال : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث [٣] .

قال ابن حجر في الفتح : " والخبث جمع خبيث والخبائث جمع خبيثة يريد ذكران الشياطين وإناثهم " [٤] .

وحديـــث أبـــي هريرة رضي الله عنه قال : وكلني رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قـــال : فخليـــت عنه . فأصبحت فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحـــة ؟ قلت : يا رسول الله

---

(١) **سورة الكهف (٥٠) .**
(٢) **أحكام الجان (ص٥٢) .**
(٣) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١ / ٢٤٢) .**
(٤) **المرجع السابق نفسه .**

شـــكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله قال : أما إنه قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله أنه سيعود فرصدته فجعل يحـــثو مـــن الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : دعني فأني محتاج وعلي عيال ، لا أعود فرحمـــته فخليـــت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله تعالى علـــيه وآله وسلم : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ؟ قلت : يا رسول الله شـــكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله قال : أما إنه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهذا آخر ثلاث مرات إنـــك تزعم لا تعود ثم تعود قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلـــت : ماهي ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي " الله لا إلـــه إلا هو الحي القيوم " حتى تختم الآية فإنه لن يزال عليك من الله حـــافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح . فخليت سبيله فأصبحت فقال لـــي رســـول الله صـــلى الله تعالى عليه وآله وسلم : ما فعل أسيرك الـــبارحة ؟ قلت : يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال : وما هي ؟ قلت : قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها " الله لا إله إلا هو الحي القيوم " حتى تختم الآية وقـــال لـــي : لـــن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شيء على الخير .

فقـــال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : أما إنه قد صدقك وهو كــذوب . تعلـــم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال : لا ، قال : ذاك شيطان " [١] .

فهذا الحديث صرح فيه الجني أكثر من مرة بأنه فقير وصاحب عيال والعيال لا يكونون إلا من زوجه فدل هذا على أن في الجن إناثاً وذكوراً وذرية كما هو شأن الإنس تماماً وهو الصحيح .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٤ / ٢٨٨) .

المبحث الخامس

أماكن تواجدهم

يوجد الجن على هذه الأرض التي نعيش عليها ، قال سبحانه : ﴿ **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾ (١) ويكثر وجودهم في أماكن محددة منها كالحمامات والفلوات والخراب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – : " يوجدون كثيراً في الخراب والفلوات ويوجدون في مواضع النجاسات كالحمامات والحشوش والمزابل وأماكن القمامة والمقابر ، والشيوخ التي تقترن بهم الشياطين وتكون أحوالهم شيطانية لا رحمانية يأوون كثيراً إلى هذه الأماكن التي هي مأوى الشياطين ، وقد جاءت الآثار بالنهي عن الصلاة فيها لأنها مأوى الشياطين ، والفقهاء منهم من علل النهي بكونها مظنة النجاسات ومنهم من قال : إنه تعبد لا يعقل معناه والصحيح أن العلة في الحمام وأعطان الإبل ونحو ذلك لأنها مأوى الشياطين وفي المقبرة أنها ذريعة إلى الشرك مع أن المقابر تكون أيضاً مأوى للشياطين " (٢) .

---

(١) **سورة البقرة (٣٦) .**

(٢) **فتاوي ابن تيمية (١٩ / ٤١ – ٤٢) .**

ويكثر وجود الجن في الأسواق أيضاً ، بل إن الشيطان ينصب رايـــته فـــيها لأنها مظنة الإفساد ، ولهذا نهى الرسول صلى الله تعالى علـــيه وآله وسلم عن البقاء والمكث فيها فقال موصياً سلمان الفارسي رضي الله عنه " لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته " [١] .

كما أنه يوجد من الجن من يعيشون مع الناس في مساكنهم وهو نـــوع يســـمى عوامـــر البـــيوت أو جنان البيوت ، وأمر الناس بعدم الـــتعرض لهـــذا النوع قبل الإنذار خشية أن يكون من الجن المسلمين بدليل ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " إن لهذه البيوت عوامر فإذا رأيتم شيئاً منها فحرجوا عليها ثلاثاً فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر " [٢] .

كمـــا أن أعطـــان الإبل من الأماكن التي يتواجد فيها الشياطين وكذلك ما بين الظل والشمس لذا فقد ورد النهي عن الصلاة في المكان الأول كما ورد النهي عن الجلوس في المكان الثاني .

---

[١] صحيح مسلم بشرح النووي (١٦ / ٧) .

[٢] صحيح مسلم بشرح النووي (١٤ / ٢٣٥) .

المبحث السادس

طعامهم وشرابهم

نعـــم الجن كالإنس يأكلون ويشربون دلت على ذلك النصوص فمن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعـــالى عليه وآله وسلم : " إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله " [١] .

ومـــن ذلـــك أيضاً حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه ســـمع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " إذا دخل الرجل بيـــته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء " [٢] .

ومـــن النصوص الدالة على أن الجن يأكلون ويشربون حديث عـــبد الله بـــن مســـعود قال : قدم وفد الجن على رسول الله صلى الله تعـــالى عليه وآله وسلم فقالوا : يا محمد إن أمتك أن يستنجوا بعظم أو روثـــة أو حممـــة [٣] فـــإن الله تعالى جعل لنا فيها رزقاً قال : فنهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن ذلك [٤] .

---

[١] صحيح مسلم بشرح النووي (١٣ / ١٩١) .

[٢] المرجع السابق نفسه .

[٣] الفحم وما أحرق من الخشب والعظام ونحوهما .

[٤] سنن أبي داود (١ / ٣٦) .

ومن ذلك ما جاء في سنن الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود قـال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فإنها زاد إخوانكم من الجن " [١] .

وفـي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صـلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " أتاني داعي الجن فذهبت معـه فقـرأت علـيهم القرآن " قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نـيرانهم وسألوه الزاد فقال : " لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعرة علف لدوابكم ، فقال رسول الله صـلى الله تعـالى علـيه وآله وسلم " فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم " [٢] .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه تـبع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإداوة لوضوء فلما علم به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال له : " أبغني أحجاراً أستنفض بها ولا تأتني بعظم ولا بروثة " فلما فرغ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسـلم سأله أبو هريرة قائلاً : ما بال العظم والروثة ، فقال صلى الله تعـالى علـيه وآله وسلم : " هما من طعام الجن وإنه أتاني وفد جن نصيبين – ونعم الجن – فسألوني الزاد فدعوت الله لهم أن لا يمـروا

---

[١] الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي (١ / ٢٩) .

[٢] صحيح مسلم (٤ / ١٧٠) .

بعظم ولا بروية إلا وجدوا عليهما لحماً " (١) .

ومـــن ذلك أيضاً ما رواه أبو داود في سننه من حديث أمية بن محشي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قـــال : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جالساً ورجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة فلما رفعها إلى فيه قال : بســـم الله أوله وآخره فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم قـــال : " ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله عز وجل استقى ما في بطنه " (٢) .

ومن ذلك ما رواه أيضاً أبو داود عن حذيفة رضي الله عنه قال كـــنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم طعاماً لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإنا حضرنا معه طعاماً فجاء أعرابي كأنما يدفع فذهب ليضع يده في الطعام فأخذ رسول الله بيده ثم جاءت جارية كأنما تدفع فذهبت لتضع يدهـــا في الطعام فأخذ رسول الله بيدها وقال : " إن الشيطان ليستحك الطعـــام الذي لم يذكر اسم الله عليه وإنه جاء بهذا الأعرابي يستحل به فـــأخذت بـــيده ، وجاء بهذه الجارية يستحل بها فأخذت بيدها فوالذي نفسي بيده إن يده لفي يدي مع أيديهما " (٣) .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٧ / ١٧١) .

(٢) سنن أبي داود كتاب الأطعمة (٤ / ١٤٠) .

(٣) سنن أبي داود (٤ / ١٤٠) .

فهذه النصوص المتقدمة نصت على أن الجن يأكلون ويشربون حقيقة وهناك من أهل العلم من رأى أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون وهو قول لا دليل عليه فلا عبرة به لمخالفته ومصادمته الأحاديث الصحيحة الصريحة .

قال بدر الدين الشبلي : " فالقائلون إن الجن لا تأكل ولا تشرب إن أرادوا أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون فهذا قول ساقط لمصادمته الأحاديث الصحيحة وإن أرادوا أن صنفاً منهم لا يأكلون ولا يشربون فهو محتمل غير أن العمومات تقتضي أن الكل يأكلون ويشربون " [١] .

---

(١) أحكام الجان (ص٤٨٠) .

المبحث السابع

موتهم

مر علينا قريباً إثبات تناسل الجن وتكاثرهم وهذا يعني أن لكل جـيل منهم أمة وأجيالاً وأعماراً وأرزاقاً لابد أن تنتهي بالموت الذي هـو نهايـة كل حي على هذه الأرض مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ [١] .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره هذه الآية : يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم " [٢] .

والجن من أهل الأرض كما هو ثابت بالنص قال تعالى ﴿ **فأزلهما الشـيطان عـنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾ [٣] .

ومـن الآيات الدالة على موت الجن قوله تعالى ﴿ **أولئك الذين حـق علـيهم في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسـرين** ﴾ [٤] . في هذه الآية دليل على أن الجن يموتون أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن كالإنس سواءً بسواء ومثلاً بمثل .

---

[١] سورة الرحمن (٢٦ ـ ٢٧) .

[٢] تفسير القرآن العظيم (٤ / ٢٢٢) .

[٣] سورة البقرة (٣٦) .

[٤] سورة الأحقاف (١٨) .

الباب الثاني

أعمال الجن

الفصل الأول

ما يستطيعه الجن من الأعمال

المبحث الأول : صعود الجن إلى السماء .

المبحث الثاني : القدرة على الأعمال الشاقة .

المبحث الثالث : القدرة على التشكل .

الفصل الثاني

ما لا يستطيعه الجن من الأعمال

المبحث الأول : العجز عن معرفة الغيب .

المبحث الثاني : العجز عن الإتيان بالمعجزات .

المبحث الثالث : عدم التمثل بصورة النبي .

المبحث الرابع : عدم التسلط على الصالحين من عباد الله .

المبحث الخامس : محدودية العروج إلى السماء .

الفصل الأول

ما يستطيعه الجن من الأعمال

المبحث الأول : صعود الجن إلى السماء .

المبحث الثاني : القدرة على الأعمال الشاقة .

المبحث الثالث : القدرة على التشكل .



المبحث الأول

صعود الجن إلى السماء

إن الله قد أعطى الجن من الأعمال والقدرات العالية ما لم يعطه الإنسان ، ومن ذلك الصعود إلى أماكن سحيقة وبعيدة في الفضاء لأجل استراق أخبار الملأ الأعلى .

قال القرطبي : " كان مردة الجن يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة فحرسها الله تعالى حين بعثه رسوله بالشهب المحرقة " [١] .

وقد أثبت القرآن الكريم والسنة الشريفة ذلك ، فمن القرآن الكريم قوله تعالى حكاية عن الجن ﴿ **وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً** ﴾ [٢] .

وقوله تعالى ﴿ **ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين** ﴾ [٣] .

---

[١] الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ٩) .

[٢] سورة الجن (٨ – ٩) .

[٣] سورة الحجر (١٦ –١٨) .

وقولـــــه أيضاً ﴿ **وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون** ﴾ [١] .

وقولـــــه تعالى ﴿ **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً مـــن كـــل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب** ﴾ [٢] .

ومن السنة ما أخرجه البخاري – رحمه الله – في صحيحه من حديـــث أبـــي هريـــرة يقول : إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكـــة بأجنحـــتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عـــن قلوبهـــم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى مـــن تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهـــن فـــربما أدرك الشـــهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركـــه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء " [٣] .

---

[١] **سورة الشعراء (٢١٠ – ٢١٢) .**

[٢] **سورة الصافات (٦ – ١٠) .**

[٣] **فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٨ / ٥٣٧ – ٥٣٨) .**

ومـــن ذلـــك أيضاً ما رواه مسلم من حديث عبد الله بن عباس قال : أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عـــن الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى علـــيه وآله وسلم : ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا ؟ قـــالوا : الله ورسوله أعلم كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظـــيم . فقـــال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : فإنها لا يـــرمى بهـــا لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضـــى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يـــبلغ التســـبيح أهل هذه السماء الدنيا ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملـــة العـــرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ماذا قال : قال : فيستخبر بعض أهل السموات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أولياءهم ويرمون به فما جاءوا به على وجه فهو حق ولكنهم يقرفون [١] فيه ويزيدون " [٢] .

وروى الـــترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان الجـــن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً فأما الكلمة فتكون حقاً وأما ما زادوه فيكون باطلاً ، فلمـــا

---

(١) يقرفون : يخلطون فيه الكذب .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦) .

بعـــث رســـول الله صـــلى الله تعالى عليه وآله وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس مـــا هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صـــلى الله تعالى عليه وآله وسلم قائماً يصلي بين جبلين أراه قال بمكة فلقوه فأخبروه فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض " (١)

وهكـــذا يتبيـــن مـــن خلال ما تقدم من الآيات والأحاديث قدرة الجـــن الفائقـــة على الصعود إلى أماكن عالية في الفضاء إلا أن هذه القدرة محدودة وليست مطلقة وسوف يأتي بيان ذلك قريباً إن شاء الله تعالى .

(١) صحيح الترمذي (٥ / ٤٢٧ ـ ٤٢٨) .

المبحث الثاني

القدرة على الأعمال الشاقة

أعطـــى الله الجن من القدرات والمهارات على الأعمال الشاقة والصـــعبة مـــا لم يتهيأ مثله لبني الإنسان كالتنقل السريع بين الأماكن البعـــيدة وذلـــك نتيجة الخفة والسرعة في الحركة وهي من المميزات التي تميز بها هذا الخلق ، ويظهر ذلك واضحاً وجلياً في قصة سليمان علـــيه الســـلام مـــع ملكة سبأ عندما ﴿ **قـــال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشـــها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا ءاتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين** ﴾ (١) .

فهذا العفريت المسخر لنبي الله سليمان عليه السلام أظهر استعداداً كبـــيراً علـــى حمـــل العرش وإحضاره مع المحافظة على ما فيه من الجواهـــر وغـــيرها قبل أن يقوم سليمان عليه السلام من مجلسه الذي يجلس فيه للناس .

وكـــان فـــيما يقـــال من أول النهار إلى قريب الزوال يتصدى لمهمات بني إسرائيل وما لهم من الأشغال (٢) .

فهذا الاستعداد الكبير على نقل سرير ملكة سبأ من مقره بأرض اليمن إلى حيث يقيم سليمان عليه السلام ببيت المقدس رغم البعـــــد

---

(١) سورة النمل (٣٨ – ٣٩) .

(٢) قصص الأنبياء (ص ٤٧١) .

الشاســـع فـــي المسافة يظهر مدى ما يتمتع به هذا العفريت من قدرة كبـــيرة ومهارة فائقة ، كما أن قدرة الجن على الأعمال ومهارتهم فيها تظهر بشكل بارز من خلال قدرتهم أيضاً على بناء الصرح[١] لسليمان علـــيه السلام بأمره وبطريقة عجيبة حيث بنته الشياطين من " قوارير خضـــر وجعلـــوا له طوابق من قوارير بيض فبقي كأنه الماء وجعلوا تحت الطوابق صور دواب البحر من السمك وغيره "[٢]، وهو الأمر الـــذي ظنت معه بلقيس ملكة سبأ أن ما تحتها ماء فحاولت اتقاءه فقال لهـــا سليمان عليه السلام إنه ﴿ **صرح ممرد من قوارير** ﴾[٣] وليس هـــذا فحســـب بـــل إن الجن عملت لسليمان عليه السلام ما يشاء من محاريـــب وهـــي الأبنية الحسنة والقصور العالية والتماثيل وهي كل شـــيء صور بصورته من نحاس أو زجاج أو رخام أو طين أو غير ذلك ، والجفان الكبيرة التي تشبه الحياض والقدور الراسيات المنحوتة الثابتة التي لا تحمل ولا تحرك لعظمها .

قال تعالى ﴿ **ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عـــن أمـــرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا ءال داود شكراً وقليل**

---

(١) القصر وكل بناء عال ، مختار الصحاح (ص ٣٦٠) .

(٢) الكامل في التاريخ (١ / ١٨٠) .

(٣) سورة النمل (٤٤) .

من عبادي الشكور ﴾ [١] .

كمـــا أن الله قد وهب لبعضهم القدرة على الغوص تحت الماء فـــي الـــبحار لاستخراج ما فيها من الجواهر النفيسة قال جل وعلا : **﴿ ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين ﴾** [٢] .

وقال تعالى **﴿ والشياطين كل بناء وغواص ﴾** [٣] .

وقــد ذكــر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن بعض الشيوخ قوله " يرونني الجن شيئاً براقاً مثل الماء والزجاج ويمثلون له فيه ما يطلب منه الإخبار به قال : فأخبر الناس به ويوصلون إلى كلام من استغاث بي من أصحابي فأجيبه فيوصلون جوابي إليه " [٤] .

---

[١] سورة سبأ (١٢ – ١٣) .
[٢] سورة الأنبياء (٨٢) .
[٣] سورة ص (٣٦ – ٣٧) .
[٤] محموع الفتاوي (١١ / ٣٠٩) .

المبحث الثالث

القدرة على التشكل

الجـــن يتشكلون بأشكال كثيرة وصور متعددة فقد منحوا القدرة علـــى ذلك ، قال ابن تيمية رحمه الله : " والجن يتصورون في صور الإنـــس والبهائم فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها وفي صور الإبل ، والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وفي صور الطير وفي صور بني آدم " (١) .

ومـــن الأدلـــة علـــى تصورهم ما رواه النسائي في سننه عن أبـــي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي" (٢)

يفهم من هذا الحديث أن الشيطان بإمكانه أن يتشكل بغير النبي صـــلى الله عليه وآله وسلم وقد تشكل الجن بغير النبي صلى الله عليه وآلـــه وسلم فقد تبدى الشيطان في صورة رجل من أشراف بني كنانة هو سراقة بن مالك بن جعشم لما رأى من تردد قريش عن المسير إلى بـــدر (٣) بسبب ما كان بينهما وبين بني بكر فقال لهم مشجعاً : " أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه " (٤) .

---

(١) مجموع الفتاوي (١٩ / ٤٤) .

(٢) سنن ابن ماجة (٢ / ١٢٨٤) .

(٣) اسم موضع وهي بئر كانت لرجل يدعى بدر .

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٦١٢) .

كمـــا تمثل الشيطان بصورة شيخ نجدي عندما اجتمع الملأ من قــريش بــدار الندوة في التشاور في أمرِ الرسول صلى الله عليه وآله وســلم فاعترضـــهم في هيئة شيخ جَليل من أهل نجد عليه بتلة [١] ، فوقــف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا : من الشيخ ؟ قـــال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولــون وعسى ألا يعدمكم منه رأياً ونصحاً قالوا : أجل فادخل فدخل معهم فتشاوروا في أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو معهم يقــول فـــي كل رأي رأوه كالحبس والنفي من مكة لا والله ما هذا لكم بـــرأي حتى قال أبو جهل بن هشام : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شـــاباً جلـــيداً نسيباً وسيطاً فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فرضوا منا العقل فعقلناه لهم فقال الشيخ النجدي : القـــول ما قال الرجل هذا الرأي الذي لا رأي غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له " [٢] .

وممـــا يدل على تشكلهم بصورة الرجال أيضاً ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال : وكلني رسول الله صلى الله عليه وآلـــه

---

[١] الكساء الغليظ .

[٢] سيرة ابن هشام (١ / ٤٨٠) .

وســلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال : " إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة ... الحديث " (١) .

قــال ابــن حجر : وفي رواية الرويان " ما أدخلك بيتي تأكل التمر " قال : أنا شيخ كبير فقير ذو عيال " (٢) .

فراوي الحديث رضي الله عنه رأى الشيطان بصورة إنسان من بني آدم وقد مر ذكر الحديث بطوله عند الحديث عن تناسلهم (٣) .

وممــا يدل على تناسلهم بصورة أخرى كالحيات مثلاً ما رواه أبــو داود في سننه من حديث أبي السائب وفيه " فدخل البيت فإذا حية منكرة فطعنها بالرمح ثم خرج بها في الرمح ترتكض قال : فلا أدري أيهما كان أسرع موتاً الرجل أم الحية فأتى قومه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : ادع الله أن يرد صاحبنا فقال " استغفروا لصاحبكم " ثــم قــال : " إن نفــراً مــن الجن قد أسلموا بالمدينة فإذا رأيتم أحداً مــنهم فحــذروه ثــلاث مرات ثم إن بدا لكم بعد أن تقتلوه فاقتلوه بعد الثلاث " (٤) .

فقد كانت الحية الموجودة في البيت جناً صرع الشاب بسببهــا

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٤ / ٢٨٨) .

(٣)

(٤) سبق تخريجه .

ولـــذا نهـــى الرســـول صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل الحيات [١] والعوامر التي تكون في البيوت قبل الاستئذان والإنذار وقد مضى معنا الحديث كاملاً عند الحديث عن موت الجن فلينظر في موضعه من هذا البحث [٢] والكلاب السود كذلك تتصور بصورتها الجن كثيراً .

قـــال ابـــن تيمـــية رحمه الله : " الكلب الأسود شيطان الكلاب والجـــن تتصور بصورته كثيراً أن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة " " [٣] بدليل ما رواه مسلم عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " إذا قام أحدكم يصلي فإنه يســـتره إذا بين يديه مثل آخرة الرحل [٤] ، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود . قلت : يـــا أبا ذر ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر فقـــال : يـــا ابن أخي سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما سألتني فقال : الكلب الأسود شيطان " [٥] . وهكذا يظهر لنا أنه يمكن رؤيـــة الجـــن إذا تشـــكلوا أو تصـــوروا بصور أخرى غير صورهم الأصلية التي خلقوا عليها كما دلت على ذلك الآثار الصحيحة .

---

(١) ماعدا الأبتر وذو الطفتين .

(٢)

(٣) فتاوي ابن تيمية (١٩ / ٥٢) .

(٤) الخشبة التي يستند إليها الراكب من كور البعير . النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ٢٦) .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٤ / ٢٢٦ – ٢٢٧) .

الفصل الثاني

ما لا يستطيعه الجن من الأعمال

المبحث الأول : العجز عن معرفة الغيب .

المبحث الثاني : العجز عن الإتيان بالمعجزات .

المبحث الثالث : عدم التمثل بصورة النبي .

المبحث الرابع : عدم التسلط على الصالحين من عباد الله .

المبحث الخامس : محدودية العروج إلى السماء .

المبحث الأول

العجز عن معرفة الغيب

نظـــراً لما يملكه الجن من قدرات ومهارات كبيرة تفوق قدرات البشـــر كالســـرعة والخفة في الحركة والتنقل بين الأماكن فإنهم بحكم ذلـــك يعلمـــون بالأخـــبار ويشاهدون الحوادث المغيبة عن الإنس مما يدركونـــه ، فلا يكون غيباً عندهم فيخبرون به والحوادث المتعلقة بهذا الجانـــب كثيرة ومنها على سبيل المثال إخبارهم أين توجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين عزم على المسير والهجرة إلى المدينة فهذا بالنسبة للجن واقع وبالنسبة للإنس غيب ومن هنا حصل الالتباس عـــند بعض الناس والاعتقاد بأن الجن تعلم الغيب فقصدوهم يسألونهم فـــي أمور غيبية لا يعلمها إلا الله ولا يعلمها الجن ولا غيرهم فخابوا وخســـروا ، أمـــا مـــا استأثر الله بعلمه من الغيب فهو من اختصاصه تـــبارك وتعالى ولا يمكن لأي كائن من كان أن يعلمه سواء كان هذا ملكاً أو إنساً أو جناً إلا من استثنى من رسله .

فقد أخبرنا الله تعالى أن ذلك إليه وحده دون سواه قال تعالى : **﴿ عـــالم الغيـــب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ﴾** [١] .

وقال تعالى **﴿ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابـــة**

---

[١] سورة الجن (٢٦ – ٢٧) .

الأرض تـــأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ (٢)

وقال ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ (٣) .

قال الشوكاني في تفسير الآية الأولى: " أي لا يطلع على الغيب الذي يعلمه وهو ما غاب عن العباد أحد منهم ثم استثنى فقال " إلا من ارتضـــى من رسول " أي إلا من اصطفاه من الرسل أو من ارتضاه منهم لإظهاره على بعض غيبه ليكون ذلك دالاً على نبوته " (٤) .

وقال أيضاً في تفسير الآية الثانية : " أي ظهر أمر الجن للناس أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين " (٥) .

وبهـــذا نعلم يقيناً أن الجن لا يعلمون الغيب وما يخبرون به ما هـــو إلا وقائع مشهودة وليس هو من غيب المستقبل الذي لا سبيل لهم إليه لأنه مما اختص الله تعالى بعلمه دون سواه .

---

(١) سورة سبأ (١٤) .
(٢) سورة الأنعام (٥٩) .
(٣) سورة النمل (٦٥) .
(٤) فتح القدير للشوكاني (٥ / ٣١٠ – ٣١١) .
(٥) المرجع نفسه (٤ / ٣١٨) .

المبحث الثاني

عجزهم عن الإتيان بالمعجزات

كما أن في الجن جوانب قوة كذلك فيهم جوانب ضعف فهم غير قادريـــن البـــتة علـــى الإتيان بمثل المعجزات التي جاءت بها الرسل صلوات الله عليهم وسلامه .

قـــال تعـــالى متحدياً الإنس والجن على أن يأتوا بمثل القرآن : **﴿ قـــل لئـــن اجتمعـــت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾** [١] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : " لو اجتمعت الإنس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه ولو تعاونوا وتساعدوا وتضافروا فإن هذا أمر مستطاع " [٢]. وقـــال تعالى رداً على زعم قاله الكفار في القرآن وهو أنه من قبيل ما تلقيه الشياطين على الكهنة **﴿ وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون ﴾** [٣] . وبهذا يتبين عجز الجـــن عن الإتيان بمثل المعجزات التي جاءت بها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

[١] سورة الإسراء (٨٨) .

[٢] تفسير القرآن العظيم (٣ / ٦٢) .

[٣] سورة الشعراء (٢١٠ – ٢١٢) .

المبحث الثالث

عدم التمثل بصورة النبي ﷺ

لا يستطيع الشيطان أن يتمثل بصورة النبي صلى الله عليه وآله وسـلم ، ففي الحديث الذي يرويه ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عـنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي " (١) .

وفي رواية البخاري : " من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي " (٢) .

وفـيه عـن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه " من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكونني " .

وفيه عن أبي قتادة " وإن الشيطان لا يتراءى بي "

وفيه عنه رضي الله عنه " من رآني فقد رأى الحق " .

والظاهـر مما تقدم من الأدلة أن الشيطان ممنوع من التصور بصورة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فكما استحال تشكله بصورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليقظة لئلا يلتبس بالباطل ، فكذلك منع تصوره في المنام لئلا يكذب على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) سنن ابن ماجة (٢ / ١٢٨٤) .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٢ / ٣٨٣) .

المبحث الرابع

عدم التسلط على الصالحين

بيـــن القرآن الكريم حقيقة الشيطان وحدود سلطاته ونفى القرآن أيضاً أن يكون له سلطان على الصالحين والمؤمنين من عباد الله ، قال تعالى ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً** ﴾ (١) وقـــال تعـــالى ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاويـــن** ﴾ (٢) . والشـــيطان نفســـه يدرك هذا الأمر ﴿ **قال رب بما أغويتنـــي لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصـــين قـــال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين** ﴾ (٣)

فالعبد إذا كان راسخ الإيمان قوي العقيدة فإن الشيطان لا يصل إليه بل يخاف منه كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعمر في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص " والـــذي نفســـي بـــيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك " (٤) .

وكل مؤمن قوي الإيمان فلا سبيل للشيطان إليه ، فهذا إمام أهل

---

(١) سورة الإسراء (٦٥) .

(٢) سورة الحجر (٤٢) .

(٣) سورة الحجر (٣٩ – ٤٢) .

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري .

السـنة والجماعـة أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى – يقف الشيطان حذاءه عند احتضاره عاضاً على أنامله ويقول له : يا أحمد فتني وإليك الخـبر كـاملاً كما رواه ابنه عبد الله قال : " لما حضرت أبي الوفاة جلسـت عـنده وبيدي الخرقة لأشد بها لحيته فجعل يغرق ثم يفيق ثم يفـتح عينـيه ويقول بيده هكذا لا بعد لا بعد ففعل هذا مرة وثانية فلما كـان فـي الثالثة قلت له : يا أبت أي شيء هذا قد لهجت به في هذا الوقت تغرق حتى تقول : قضيت ثم تعود فتقول : لا بعد لا بعد ، فقال مـا تـدري قلت : لا . فقال : إبليس لعنه الله قائم حذائي عاض على أنامله يقول لي : يا أحمد فتني فأقول : لا بعد حتى أموت " [١] .

بـل إن الشـيطان أعلن أنه ليس له سلطان على أتباعه الذين اتـبعوه وبين أن حدود سلطانه مجرد دعوة بلا حجة أو برهان ، قال تعـالى حاكـياً عن الشيطان ﴿ **وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكـم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكـم فاسـتجبتم لـي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصـرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ [٢] فالمؤمنون إذاً من باب أولى ألا يكون للشيطان إليهم سبيل ، كما تقدم بيانه .

---

[١] المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد

[٢] سورة إبراهيم (٢٢) .

المبحث الخامس

محدودية العروج إلى السماء

تقدم معنا بيان مدى ما يتمتع به الجن من قدرات عالية تمكنهم بإذن الله تعالى من الوصول إلى أماكن سحيقة في الفضاء كما تمكنهم من التنقل بين الأماكن البعيدة على هذه الأرض بسرعة وخفة إلا أنهم مـــع ما يتمتعون به من قدرة لهم حدود وإمكانيات ليس لهم أن يتعدوها بأي حال من الأحوال ومتى فعلوا ذلك ..

قـــال تعالى ﴿ **يا معشر الجن إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأي ءالاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران** ﴾ [١] .

---

[١] سورة الرحمن (٣٣ – ٣٥) .

الباب الثالث

تكليف الجن

الفصل الأول

ثبوت التكليف بحق الجن

المبحث الأول : الأدلة من القرآن الكريم .

المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية .

المبحث الثالث : التبليــغ .

الفصل الثاني

كيفية التكليف

المبحث الأول : التكليف بالأصول .

المبحث الثاني : التكليف بالفروع .

المبحث الثالث : الجـــزاء .

الفصل الأول

ثبوت التكليف بحق الجن

المبحث الأول : الأدلة من القرآن الكريم .

المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية .

المبحث الثالث : التبليـــغ .

المبحث الأول

الأدلة من القرآن الكريم

خلــق الله الجــن للغايــة التي من أجلها خلق الإنس ، والجن كــالإنس ســواء بسواء ، فهم مأمورون ومنهيون فمن أطاع الله منهم سعد وربح ومن عصاه شقي وخسر .

قال ابن عبد البر : " الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون [١] لقوله تعالى ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ " [٢] .

وقـــال عبد الجبار الهمذاني فيما نقله عنه ابن حجر العسقلاني فـــي الفتح " لا نعلم خلافاً بين أهل النظر في ذلك " والدليل على أنهم مكلفون (ما في القرآن من ذم الشياطين والتحرز من شرهم وما أعد لهــم من العذاب وهذه الخصال لا تكون إلا لمن خالف الأمر وارتكب النهي مع تمكنه من أن يفعل) [٣] .

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن هذا أصل متفق عليه بيــن الصحابة والتابعين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغــيرهم فقال : " يجب على الإنسان أن يعلم أن الله جل وعلا أرسل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى جميع الثقلين : الإنس والجـــن

---

[١] أحكام القرآن (ص٥٣) .

[٢] سورة الرحمن .

[٣] فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦ / ٣٤٤) .

وواجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته وأن يحللوا ما حلل الله ورسوله ويحرموا ما حرم الله ورسوله ، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله ، ويحبوا ما أحبه الله ورسوله ، ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله ، وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول ، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين : أهل السنة والجماعة وغيرهم " [١] .

وهناك من خالف وقال : إن الجن غير مكلفين وقد نسب هذا القول إلى الحشوية [٢] وهو خلاف الصواب الذي عليه جمهور أهل الإسلام والآيات والأحاديث الدالة على تكليفهم كثيرة جداً وإليك بعضها أما الآيات فمنها :

١ – قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون** ﴾ [٣] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لإحتياجي إليهم قال: وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

---

[١] مجموع الفتاوي (١٩ / ٩) .

[٢] أناس تكلموا بكلام ردئ فردوا إلى حشى الحلقة أي إلى جانبها .

[٣] سورة الذاريات (٥٦ – ٥٧) .

رضي الله عنهما : " أي إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً " [١] .

٢ – قـــال تعـــالى : ﴿ **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل مـــنكم يقصـــون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا علـــى أنفســـنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم إنهم كانوا كافرين** ﴾ [٢] .

فقـــد تضـــمنت هذه الآية التصريح بأن الله تعالى أرسل الرسل للجن والإنس لإبلاغهم وإنذارهم والتبليغ والإنذار عين التكليف .

٣ – قـــال تعالى : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قـــالوا يـــا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديـــه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم** ﴾ [٣] .

قـــال القرطبـــي : " هذه الآيات تدل على أن الجن كالإنس في الأمر والنهي والثواب والعقاب " [٤] .

قال ابن كثير : " فيه دلائل على أنه تعالى أرسل محمداً صلى

---

[١] **تفسير القرآن العظيم (٤ / ٢٥٥) .**

[٢] **سورة الأنعام (١٣٠) .**

[٣] **سورة الأحقاف (٢٩ – ٣١) .**

[٤] **الجامع لأحكام القرآن (١٦ / ١٤٤) .**

الله علـــيه وآلـــه وســـلم إلى الثقلين الجن والإنس حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعيدهم وهي سورة الرحمن ولهذا قال " أجيبوا داعي الله وءامنوا به " [١] .

٤ – قـــال تعـــالى : ﴿ **قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقـــالوا إنا سمعنا قرءاناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربـــنا أحداً** ﴾ [٢] إلى قوله تعالى ﴿ **إن الجن استمعوا القرآن فآمنوا بـــه وصـــدقوه وانقادوا له** ﴾ [٣] فإيمانهم وتصديقهم بالقرآن وأخذهم على أنفسهم عهداً بعدم الإشراك بالله فيه دلالة على أنهم مكلفون .

فهـــذه الآيـــات وغيرها كثيرة في كتاب الله دلت على أن الجن مكلفـــون وأنهـــم والإنس سواء لا فرق بينهم في ذلك فكلهم مأمورون ومنهـــيون فمـــن آمن منهم وأطاع الله فله الجنة والنعيم المقيم ، ومن أساء وعصى فله النار والعذاب الأليم .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤ / ١٧٠) .
(٢) سورة الجن (١ – ١٥) .
(٣) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٤٥٦) .

المبحث الثاني

الأدلة من السنة

وردت أحاديث كثيرة تثبت أن الجن مكلفون وأن الله أقام عليهم الحجة وبلغهم ، فمن ذلك ما يلي :

١ – عـن ابن عباس رضي الله عنهما قال : انطلق رسول الله صـلى الله علـيه وآله وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعـت الشـياطين فقـالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السـماء وأرسـلت علينا الشهب قال : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الـذي حدث ، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هـذا الأمـر الـذي حال بينهم وبين خبر السماء قال : فانطلق الذين توجهـوا نحـو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنخلة وهـو عـامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلـى الرشـد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً [١] وأنزل الله عز شأنه على نبيه " قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن " وإنما أوحي إليـه

---

[١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٨ / ٦٦٩) .

قول الجن .

فالجن استمعوا للقرآن وتعجبوا منه وبينوا أنه يهدي إلى الرشد فآمــنوا ثــم انطلقوا إلى قومهم ينذرونهم بالقرآن ، فما معنى انطلاقهم إلــى قومهم بعد استماع القرآن منذرين . لا ريب أن ذلك يدل على أن الجــن مكلفيــن ولو لم يكونوا مكلفين لما كان في انطلاقهم إلى قومهم وإنذارهم معنى .

٢ – كما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قــال : قــال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " أعطيت خمساً لم يعطهــن أحد قبلي كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمــر وأســود وأحلــت لــي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض طيــبة طهوراً ومسجداً فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة " [١]

قال النووي رحمه الله في شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم " وبعثت إلى كل أحمر وأسود " قيل المراد بالأحمر البيض من العجم وغــيرهم وبالأسود العرب لغلبة السمرة فيهم وغيرهم من السودان ، وقــيل : المــراد بالأســود السودان وبالأحمر من عداهم من العرب وغيرهم وقيل : الأحمر الإنس والأسود الجن والجميع صحيــح فقــد

---

[١] صحيح مسلم بشرح النووي (٥ / ٣) .

بعث إلى جميعهم " [١] .

٣ – كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : فضلت على الأنبياء بست ، أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون " [٢] .

قال السبكي : " ومحل الاستدلال قوله أرسلت إلى الخلق كافة فإنه يشمل الجن والإنس وحمله على الإنس خاصة تخصيص بغير دليل فلا يجوز وحديث مسلم الذي استدللنا به أصرح الأحاديث الدالة على شمول الرسالة للجن والإنس " [٣] .

كما روى مسلم عن عامر قال : سألت علقمة : هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الجن قال : فقال علقمة أنا سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الجن قال : لا ، ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة ففقدناه في الأودية والشعاب فقلنا : استطير أو اغتيل قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذ هو جاء من قبل حراء ، قال : فقلنا : يا رسول الله

---

[١] **المرجع السابق (ص ٥) .**

[٢] **المرجع السابق نفسه .**

[٣] **فتاوي السبكي (٢ / ٥٩٧ – ٥٩٨) .**

فقدنـــاك فطلبـــناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال : أتاني داعـــي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال : فانطلق بنا فأرانا آثـــارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله علـــيه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم فقال رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم " [١] .

قال ابن حجر في الفتح : " وقد ثبت تعدد وفودهم لقصد الإسلام ولسماع القرآن والسؤال عن أحكام الدين " [٢] .

وهـــذا يفـــيد أنهـــم مكلفـــون بالتكاليف الشرعية وبالتالي فهم محاسبون على أعمالهم التي يعملونها في الدنيا .

---

[١] صحيح مسلم بشرح النووي (٤ / ١٦٩ – ١٧٠) .

[٢] فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٤ / ٦٧٤) .

المبحث الثالث

التبليغ

تقدم معنا آنفاً إثبات تكليف الجن ومخاطبتهم وهو الأمر الذي أجمعت عليه الأمة وبما أن الأمر كذلك فلابد إذاً أن يبلغهم الله وحيه ويقيم عليهم حجته فهل أرسل الله إليهم رسلاً منهم أم أن الرسل المبعوثين إلى الإنس هم الرسل المبعوثين إلى الجن .

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في هذه المسألة فمنهم من رأى أن رسل الجن هم الرسل من البشر وأن الجن لم يبعث إليهم رسول منهم وهو قول جمهور العلماء .

قال بدر الدين الشبلي : " جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أنه لم يكن من الجن قط رسول ولم يكن الرسل إلا من الإنس " (١) .

وقال ابن مفلح في فروعه : " ولم يبعث إليهم نبي قبل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وليس منهم رسول " (٢) .

وكذا قال السيوطي (٣) .

وقال ابن كثير : " الرسل من الإنس فقط وليس من الجن

---

(١) أحكام الجان (ص٥٤) .

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (٢ / ٢٢٣) .

(٣) المرجع السابق نفسه .

رسل [١] واستدلوا بما يلي :

١ – قـول الله تعالى ﴿ **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا** ﴾ [٢] .

قال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : ولما كانت الجـن ممن تخاطب ويعقل قال " منكم " وإن كانت الرسل من الإنس وغلب الإنس في الخطاب كما يغلب المذكر على المؤنث .

وقـال ابن عباس : رسل الجن هم الذين بلغوا قومهم ما سمعوه من الوحي، كما قال ﴿ **ولوا إلى قومهم منذرين** ﴾ [٣] وفي التنزيل : ﴿ **يخـرج منهما اللؤلؤ والمرجان** ﴾ [٤] أي من أحدهما وإنما يخرج من المالح دون العذب فكذلك الرسل من الإنس دون الجن فمعنى منكم أي من أحدكم ، وقيل : إنما صير الرسل في مخرج اللفظ من الجميع لأن الثقلين قد ضمتهما عرصة القيامة والحساب عليهم دون الخلق فلما صـاروا فـي تلك العرصة في حساب واحد في شأن الثواب والعقاب خوطبوا يومئذ بمخاطبة واحدة كأنهم جماعة واحدة [٥] .

---

[١] تفسير القرآن العظيم (٢ / ١٨٣) .
[٢] سورة الأنعام (١٣٠) .
[٣] سورة الأحقاف (٢٩) .
[٤] سورة الرحمن (٢٢) .
[٥] الجامع لأحكام القرآن (٧ / ٥٧) .

وقوله تعالى ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهــل القرى** ﴾ [١] قال الشوكاني رحمه الله : " تدل الآية على أن الله لم يبعث نبياً من النساء ولا من الجن " [٢] .

وقال القرطبي : " هذا رد على القائلين " لولا أنزل عليه ملك " أي أرســلنا رجالاً ليس فيهم امرأة ولا جني ولا ملك قال الحسن : لم يبعث الله نبياً من أهل البادية قط ولا من النساء ولا من الجن " [٣] .

وقــال تعالى﴿ **ووهبنا لــه إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وءاتيناه أجره في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾[٤]

قال الحافظ ابن كثير : " فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريــته ولــم يقل أحد من الناس أن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم ببعثته " [٥] .

وقولــــه تعــالى ﴿ **إن الله اصطفى ءادم ونوحاً وءال إبراهيم وءال عمران على العالمين** ﴾ [٦] .

---

[١] **سورة يوسف (١٠٩) .**

[٢] **فتح القدير (٣ / ٦٠) .**

[٣] **الجامع لأحكام القرآن (٩ / ١٧٩ – ١٨٠) .**

[٤] **سورة العنكبوت (٢٧) .**

[٥] **تفسير القرآن العظيم (٢ / ١٨٣) .**

[٦] **سورة آل عمران (٣٣) .**

قال القرطبي" قال الزجاج : اختارهم للنبوة على عالمي زمانهم وقيل " على العالمين " على جميع الخلق كلهم إلى يوم الصور " [١] .

وقولـــــه تعالى ﴿ **قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصــدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم** ﴾ [٢] .

قال القرطبي في بيان حال هؤلاء النفر من الجن الذين ولوا إلى قومهم منذرين بعد سماعهم القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم . قال عطاء : كانوا يهوداً فأسلموا ولذلك قالوا : " أنزل من بعد موسى " قال مقاتل : ولم يبعث الله نبياً إلى الجن والإنس قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم " [٣] .

كمـــا أن وفــود الجن إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم واســتماعهم للقــرآن ثم ذهابهم إلى قومهم منذرين يفيد أن الرسل من البشــر وأنه ليس من الجن رسول ولا نبي ولو كان الأمر خلاف ذلك لمـــا كان لحضورهم واستماعهم القرآن من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذهابهم إلى قومهم وإنذارهم أي معنى .

ومنهم – أي العلماء – وهو القول الثاني من رأى أن نبي الجن رسولاً منهم وقد نسب القرطبي هذا القول إلى مقاتل والضحاك قـــال

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤ / ٤١) .

(٢) سورة الأحقاف (٣٠) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦ / ١٤٣) .

وقال مقاتل والضحاك : أرسل الله رسلاً من الجن كما أرسل رسلاً من الإنس [١] .

واحـــتج أصـــحاب هـــذا القـــول بقوله تعالى " **يا معشر الجن والإنـــس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم ءاياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا** ﴾ [٢] .

ووجه استدلالهم حمل الآية على ظاهرها وهو أن الله بعث إلى الجـــن رســـلاً منهم كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم إلا أنه مما ينبغي التنبـــيه عليه هو أن الجميع متفقين على أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد بعث إلى الجن والإنس كافة .

قـــال شـــيخ الإســـلام رحمه الله : " وهذا أصل متفق عليه بين الصـــحابة والتابعيـــن لهـــم بإحســـان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم " [٣] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧ / ٥٧) .
(٢) سورة الأنعام (١٣٠) .
(٣) مجموع الفتاوي (١٩ / ٩) .

الفصل الثاني

كيفية التكليف

المبحث الأول : التكليف بالأصول .

المبحث الثاني : التكليف بالفروع .

المبحث الثالث : الجـــزاء .



المبحث الأول

التكليف بالأصول

جاءت الآيات في القرآن الكريم مشتملة على الأصول والفروع التـــي يتكون منها الإسلام مثل قوله تعالى في سورة الحديد ﴿ **ءامنوا بـــالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين ءامنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير** ﴾ (١) .

وتوجـــه القـــرآن بجميع ما فيه من الأوامر والنواهي إلى الجن والإنس مؤمنهم وكافرهم فالله سبحانه وتعالى خاطب النوعين معاً كما فـــي سورة الرحمن ، ولهذا قرأها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الجن قراءة تبليغ وإنذار وكانوا يقولون كلما قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى " فبأي ءالاء ربكما تكذبان " لا نكذب بشـــيء مـــن آلائـــك ربنا فلك الحمد " وهذا يدل على ذكائهم وفطنتهم ومعرفتهم بمواقع الخطاب وعلمهم أنهم مقصودون به " (٢) .

فالجـــن إذا ســـمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم الـــذي أطبق علماء الإسلام رحمهم الله على أنه بعث إلى الجنسين معاً وعقلوه وفهموه ثم ولوا إلى قومهم منذرين ﴿ **قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى**

---

(١) سورة الحديد (٧) .

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ٧٤٢) .

طـريق مسـتقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وءامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾ [١] .

وهـو الأمـر الذي " يدل على تمكينهم من العلم الذي تقوم به الحجـة وهـم قادرون على امتثال ما فيه والتكليف إنما يستلزم العلم والقدرة " [٢] .

فـبهذا يتبيـن لـنا أنهم مكلفون بأصول الدين كما هم مكلفون بفروعه أيضاً ، فالإسلام " يحتم تعانق العقيدة والشريعة بحيث لا تنفرد إحداهمـا عن الأخرى على أن تكون العقيدة أصلاً يدفع إلى الشريعة ومـن آمـن بالعقـيدة وألغى الشريعة أو أخذ الشريعة وأهدر العقيدة لا يكون مسلماً عند الله ولا سالكاً في حكم الإسلام طريق النجاة" [٣].

---

(١) سورة الأحقاف (٢٩ – ٣١) .

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٧٤٠) .

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها (ص ١٣ – ١٤) .

المبحث الثاني

التكليف بالفروع

لا ريب أن الجن مكلفون ويخاطبون بفروع الشريعة كما هم مكلفون ومخاطبون بأصولها " والدليل على تكليف الجن بالفروع الإجماع على أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل بالقرآن الكريم إلى الجن والإنس ، فجميع أوامره ونواهيه متوجهة إلى الجنسين وهي مشتملة على الأصول والفروع " [١] .

ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى ﴿ **وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين** ﴾ [٢] .

إلا أن هذا التكليف ليس مماثلاً في حقيقته ومساوياً لما على الإنس بسبب اختلاف طبيعتهم عن طبيعة الإنس فكان لابد من تكليفهم بما يتناسب مع خلقتهم وطبيعتهم وقد بين ذلك الشيخ سليمان الطوخي في شرح مختصر الروضة فقال : " مثاله أن الجن قد أعطى بعضهم قوة الطيران في الهواء فهذا يخاطب بقصد البيت الحرام للحج طائراً والإنسان لعدم تلك القوة فيه لا يخاطب بذلك فهذا في طرف زيادة تكليفهم على تكليف الإنس وأما نقص تكليفهم عن تكليف الإنس فكل تكليف يتعلق بخصوص طبيعة الإنس ينتفي في حق الجن لعدم تلك

---

[١] شرح مختصر الروضة (١ / ٢١٨) .

[٢] سورة البقرة (٤٣) .

الخصوصية فيهم " [١]

وهو ما ذهب إليه شيخ الإسلام عندما استفتى حول هذه المسألة فأجاب " لا ريب أنهم مأمورون بأعمال زائدة عن التصديق ، ومنهيون عن أعمال غير التكذيب ، منهم مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم فـــإنهم ليســـوا مماثلي الإنس في الحد والحقيقة فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحد لكنهم مشاركون الإنس في جـــنس التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم وهذا ما لم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين [٢] .

---

(١) شرح مختصر الروضة (١ / ٢١٨) .

(٢) فتاوي ابن تيمية (٤ / ٢٣٣) .

المبحث الثالث

الجـزاء

بمـــا أن الجـــن مكلفين فلا ريب إذاً أنهم يجازون على أعمالهم فالمؤمـــن منهم يثاب على طاعته ، والكافر منهم يعاقب على عصيانه وقــد جاءت آيات كثيرة في القرآن تحدثت عن ثواب الجن وعقابهم . ومـــن ذلك قوله تعالى ﴿ **يا قومنا أجيبوا داعي الله وءامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم** ﴾ [١] .

وقولـــــه تعـــالى ﴿ **قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجـــن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فـــيها جمـــيعاً قالـــت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ [٢] .

وقوله تعالى ﴿ **وأنا لما سمعنا الهدى ءامنا به فمن يؤمن بربه فـــلا يخاف بخساً ولا رهقاً ، وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً** ﴾ [٣]

وقوله تعالى ﴿ **إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ [٤] .

---

[١] سورة الأحقاف (٣١) .

[٢] سورة الأعراف (٣٨) .

[٣] سورة الجن (١٣ – ١٥).

[٤] سورة هود (١١٩) .

وقولـــه تعالى ﴿ **فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي ءالاء ربكما تكذبان** ﴾ [١] .

واخـــتلف العلماء – رحمهم الله – هل للجن ثواب على أعمالهم أم لا ؟ على قولين :

القــول الأول : لا ثــواب لهم إلا أنهم يجاروا من النار ثم يقال لهــم كونـــوا تـــراباً وهو قول أبي حنيفة والليث بن أبي سليم [٢] ، مســـتدلين بقوله تعالى ﴿ **يا قومنا أجيبوا الداعي وءامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم** ﴾ [٣] .

فقـــد تمسك أصحاب هذا القول بظاهر الآية كما أشار إلى ذلك ابن القيم حيث قال " فجعل غاية ثوابهم إجارتهم من العذاب الأليم" [٤] وأجيب عن ذلك بما يلي :

أولاً : أنـــه لا يلزم من سكوتهم أو عدم علمهم بدخول الجنة أو نفيه .

ثانـــياً : أن الله أخبر أنهم ولوا إلى قومهم منذرين فالمقام مقام إنذار لا مقام بشارة .

---

(١) سورة الرحمن (٥٦ – ٥٧) .
(٢) أحكام الجان (ص٧٧) .
(٣) سورة الأحقاف (٣١) .
(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٧٣٥) .

ثالـــثاً : أن هــذه العبارة لا تقتضي نفي دخول الجنة بدليل ما أخـــبر الله تعالى عن الرسل المتقدمة أنهم كانوا ينذرون قومهم العذاب ولا يذكرون لهمَ دخول الجنة كما أخبر عن نوح عليه السلام في قوله تعالى ﴿ **إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** ﴾ [١] .

وهـــود وشـــعيب عليهما السلام وغيرهما وقد أجمع المسلمون على أن مؤمنهم يدخل الجنة .

رابعـــاً : إن ذلك يستلزم دخول الجنة لأن من غفر ذنبه وأجير من عذاب الله وهو مكلف بشرائع الرسل فإنه يدخل الجنة " [٢] .

فإنـــه لا دار للمكلفيـــن سوى الجنة أو النار وكل من لم يدخل الـــنار مـــن المكلفين فالجنة مثواه وليس فائدة المغفرة إلا الفوز بالجنة والنجاة من النار [٣] .

القـــول الثانـــي : أنهـــم يـــثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصـــية وهـــو قـــول ابن أبي ليلى ومالك والأوزاعي وأبي يوسف ومحمـــد والشافعي وأحمد بن حنبل وابن عباس [٤] . واحتج أصحاب هذا القول بما يلي :

---

[١] **سورة الشعراء (١٣٥) .**

[٢] **أحكام الجان (ص٨٣ – ٨٤) .**

[٣] **طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٧٤٨) .**

[٤] **أحكام الجان (ص٧٧) .**

قوله تعالى ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ [١]

وقولـــه تعالى ﴿ **ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون** ﴾ [٢]

وقولـــه تعالى ﴿ **وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين** ﴾ [٣]

وقولـــه تعالى ﴿ **وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً** ﴾ [٤] .

على أن القائلين بثواب الجن في الآخرة اختلفوا في كيفيته على أقوال هي :

القـــول الأول : أنهـــم يدخلون الجنة وهو مذهب الجمهور من السلف والخلف [٥] . واستدل الجمهور على ذلك بما يلي :

قولـــه تعالى ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي ءالاء ربكما تكذبان** ﴾ [٦] .

---

(١) سورة الرحمن (٥٦) .

(٢) سورة الأنعام (١٣٢) .

(٣) سورة فصلت (٢٥) .

(٤) سورة الجن (١٤ – ١٥) .

(٥) طريق الهجريت وباب السعادتين (٧٣٥) .

(٦) سورة الرحمن (٥٦) .

قـــال ابن كثير : " والحق أن مؤمنيهم كمؤمني الإنس يدخلون الجـــنة فقـــد امتن الله على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة وقد قابلـــت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس فقالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد فلم يكن ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم وأيضاً إذا كان يجازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازى مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأخرى " [١] .

وقولـــــه تعـــالى حكاية عن مؤمنيهم ﴿ **وأنا لما سمعنا الهدى ءامنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً** ﴾ [٢] .

قـــال ابن القيم رحمه الله : " وبهذه الحجة احتج البخاري ووجه الاحـــتجاج بها أن البخس المنفي هو نقصان الثواب والرهق : الزيادة فـــي العقوبـــة على ما عمل فلا ينقص من ثواب حسناته ولا يزاد في سيئاته " [٣] ..

العمومات كقوله تعالى ﴿ **وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد** ﴾[٤] وقوله تعالى﴿ **وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ [٥]

---

[١] تفسير القرآن العظيم (٤ / ١٨٤) .

[٢] سورة الجن (١٣) .

[٣] طريق الهجريت (ص ٧٤٥) .

[٤] سورة ق (٣١) .

[٥] سورة آل عمران (١٣٣) .

وقولـــه تعــالى **﴿ إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار﴾** [١] وغير ذلك من الآيات .

قــال الشبلي : " فكما أنهم يخاطبون بعمومات الوعيد بالإجماع فكذلك يكونون مخاطبين بعمومات الوعد بطريق الأولى " [٢] .

إن العقــل يقوي ذلك وإن لم يوجبه وذلك أن الله تعالى قد أوعد مــن كفر منهم وعصى النار فكيف لا يدخل من أطاع منهم الجنة وهو سبحانه الحكم العدل الحليم الكريم [٣] .

القــول الثاني : أنهم يكونون في ربض الجنة يراهم الإنس من حيــث لا يرونهم [٤] وهو قول مالك وعمر بن عبد العزيز وسهل بن عبد الله وغيرهم .

القول الثالث : أنهم على الأعراف .

القول الرابع : الوقف .

بقي أن نشير إلى أن المسلمين اتفقوا على أن كفار الجن في النار .

قــال ابــن القيم : " وقد اتفق المسلمون على أن كفار الجن في النار وقد دل على ذلك القرآن في غير موضع كقوله تعالى **﴿ ولكــن**

---

(١) سورة الكهف (٣٠ – ٣١) .

(٢) أحكام الجان (ص٨١) .

(٣) المرجع نفسه (ص٨٢) .

(٤) فتاوي ابن تيمية (٤ / ٢٣٣) .

حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ [١]

وقولـــه ﴿ **لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** ﴾ [٢]

وقولـــه تعالى : ﴿ **ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار**﴾ [٣] .

وقـــال تعـــالى حكايـــة عن مؤمنهم ﴿ **وأنا منا المسلمون ومنا القاســطون فمـــن أســـلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً** ﴾ [٤] .

وقال تعالى ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس**﴾ [٥]

وقـــال تعـــالى ﴿ **فكبكـــبوا فـــيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعيـــن** ﴾ [٦] . وجـــنوده وإن لم يختص بالشياطين من ذريته فهم داخلون في عمومه [٧] .

والـــذي يظهر مما تقدم أن محسنهم في الجنة متنعم فيها فضلاً من الله ونعمة والله تعالى أعلم .

---

[١] سورة السجدة (١٣) .
[٢] سورة ص (٨٥) .
[٣] سورة الأعراف (٣٨) .
[٤] سورة الجن (١٤ – ١٥) .
[٥] سورة الأعراف (١٧٩) .
[٦] سورة الشعراء (٩٤ – ٩٥) .
[٧] طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٧٣٣ – ٧٣٤) .

الباب الرابع

يشتمل على فصل واحد وهو :

العداوة بين الشياطين ومؤمني الإنس

المبحث الأول : الإيذاء النفسي .

المبحث الثاني : الإيذاء البدني .

المبحث الثالث : العــلاج .

المبحث الأول

الإيذاء النفسي

نعني بالإيذاء النفسي الإيذاء بالوسوسة والإغواء " وأصل الوسوسة الحركة والصوت الخفي الذي لا يحس فيحترز منه فالوسواس الإلقاء الخفي في النفس " [١] .

والشيطان أعلن عن ذلك وتعهد بفعله مع ذرية آدم بكل ما يستطيعه ويقدر عليه **﴿ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾** [٢] .

وقد كانت البداية مع آدم وزوجه حواء فلم يكن ليعصي ربه لولا وسوسة الشيطان له ولزوجه حواء بالأكل من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها ولا زال الشيطان في محاولات مستمرة مع بني آدم لإيقاعهم في المعاصي **﴿ قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا ﴾** [٣] .

فهو يبعث سراياه لصد الناس عن دين الله في كل وقت وحين وأقربهم من أعظمهم فتنة وأساليب كيده ومكره التي يستخدمها مع

---

[١] أحكام الجان (ص٢٠٨) .

[٢] سورة الأعراف (١٦ – ١٧) .

[٣] سورة الإسراء (٦٢) .

بنـــي آدم لصــــدهم عن دين الله كثيرة منها التشكيك ويدخل تحت هذا الأســـلوب أمـــور كثـــيرة يستغلها الشيطان للتلبيس على بني آدم مثل التشـــكيك بوجـــود الخــــالق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كـــذا مـــن خلـــق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته " [١] فالشيطان لا يكل ولا يمل حتى يأتي عليه فيهلكه .

ومـــن أساليبه تزيين الباطل فهو يقلب الحق إلى باطل والباطل إلى حق . قال ابن القيم شارحاً هذا الأسلوب : " ومن مكايده أنه سحر العقـــل دائماً حتى يكيده ولا يسلم من سحره إلا من يشاء الله فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء وينفره من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له حتى يخيل له أنه يضره فلا إله إلا الله كم فتن بهـــذا السحر من إنسان وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحســـان وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة " [٢] .

ومـــن أساليبه يخوف المؤمنين من جنده وأولياءه فلا يأمرونهم بمعـــروف ولا ينهونهم عن منكر وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان ، وقد أخبرنا الله سبحانه بهذا فقال: ﴿ **إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه**

---

[١] **فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦ / ٣٣٦) .**

[٢] **إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (١ / ١٧٦) .**

فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ (١) .

وغير ذلك من الأساليب التي يضيق المجال عن تفصيلها وبيانها بياناً شافياً .

فالشيطان بمكايده وإغوائه " صاحب الأبوين حين أخرجهما من الجنة وصاحب قابيل حين قتل أخاه وصاحب قوم نوح حين أغرقوا وقوم عاد حين أهلكوا بالريح العقيم وصاحب قوم صالح حين أهلكوا بالصيحة وصاحب الأمة اللوطية خسف بهم واتبعوا بالرجم والحجارة وصاحب فرعون وقومه حين أخذوا الأخذة الرابية وصاحب عباد العجل حين جرى عليهم ما جرى وصاحب قريش حين دعوا يوم بدر وصاحب كل هالك ومفتون " (٢) .

والحاصل أن الوسواس شر كله وأصل كل شر لأنه مبدأ كفر وفسوق وعصيان .

---

(١) سورة آل عمران (١٧٥) .

(٢) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (١ / ١٧٧) .

المبحث الثاني

الإيذاء البدني

لـــم يقتصـــر أذى الشيطان على الجانب النفسي للإنسان والذي ألمحـــنا إلى شيء منه في المبحث السابق بل تجاوز ذلك وتعداه إلى إيقاع الضـــرر علـــى بدنه ، فالشيطان يتعرض للإنسان حال ولادته مباشرة كما ثبـــت فـــي الصحيح من حديث أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وآلـــه وسلم " كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بأصبعيه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب ليطعن فطعن في الحجاب " (١) .

والشيطان يتعرض لمنازل الناس بالإحراق مما يلحق الأذى بهم قطعاً لاسيما إذا كان الوقت ليلاً ، ولذا فقد ورد الأمر بإطفاء المصابيح والـــنار ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فجاءت بها فألقتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم علـــى الخمرة التي كان قاعداً عليها فأحرقت منها مثل موضع الدرهم فقـــال " إذا نمتم فأطفئوا سرجكم فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فتحرقكم " (٢) والأمر بإطفاء السراج للسلامة من الشيطان وأذاه .

والشيطان يتعرض للإنسان فيصرعه أو يقتله وشاهد الصـــرع ما ذكره عطاء بن أبي رباح – رحمه الله – قال: قال لي ابن عباس :

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦ / ٢٣٧) .

(٢) سنن أبي داود (٥ / ٤٠٨) .

ألا أريـــك امــــرأة من أهل الجنة قلت : بلى قال : هذه المرأة السوداء أتـــت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت إني أصرع وإني أتكشف فـــادع الله لي قال : إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافـــيك فقالـــت : أصـــبر فقالت : إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشـــف فدعا لها " [١] . وفي رواية أنها قالت : " إني أخاف الخبيث أن يجردنـــي فدعـــا لها فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فتتعلق بها " .

ومســـألة صـــراع الجنـــي لـــيس من أئمة المسلمين وعلماءهم المعتبرين من ينكرها أو يجحدها ونقل الإجماع على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : " دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة قال تعالى " الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس " .

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم" أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم " .

وقـــال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قلت لأبي : إن أقواماً يقولـــون إن الجني لا يدخل في بدن المصروع فقال : يا بني يكذبون هذا يتكلم على لسانه وهذا الذي قاله أمر مشهور فإنه يصرع الرجـــل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه ويضرب على بدنه ضرباً عظيماً لو ضرب

---

[١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠ / ١١٤) .

بــه جمــل لأثر به أثراً عظيماً والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب ولا بــالكلام الــذي يقوله وقد يجر المصروع وغير المصروع ويجر البســاط الــذي يجلــس عليه ويحول آلات وينتقل من مكان إلى مكان ويجــري إلى غير ذلك من الأمور ، من شاهدها أفادته علماً ضرورياً بأن الناطق على لسان الإنسي والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنســان ولــيس فــي أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصــروع وغــيره ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك (١) .

وشــاهد القــتل في قصة الفتى الذي كان يخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق وكان حديث عهد بعرس فكان يستأذن النبــي صلى الله عليه وسلم ويرجع إلى أهله بأنصاف النهار وفي أحد الأيــام التي رجع فيها إلى أهله وجد على فراشه حية فقتلها فمات من ســاعته فلما ذكر ذلك للنبي قال " إن بالمدينة جناً قد أسلموا فإذا رأيتم مــنهم شــيئاً فــآذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان" (٢) فقول الرسول يشير إلى أن موت الشاب كان بسبب الجن

هــذه بعض مظاهر إيذاء الجن للإنس نفسياً وبدنياً . وكنت أود أن أتوسع في شرح وبيان هذا الأمر لأهميته بيد أن المقام لا يتسع لذلك.

---

(١) فتاوي ابن تيمية (٢٤ / ٢٧٧) .

(٢) صحيح مسلم

المبحث الثالث

العـلاج

لا ســبيل للخلاص من مصائد الشيطان ومكايده وأحابيله التي ينصــبها للناس للإيقاع بهم وجرهم إلى المعصية إلا بالاعتصام بكتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهما الملجأ للإنسان من هذا العدو الماكر الذي لا يألوا جهداً في سبيل إضلال بني آدم وكبهم على وجوههم في النار .

فالقــرآن " شفاء لما في الصدور يذهب لما يلقيه الشيطان فيها مــن الوســاوس والشهوات والإرادات الفاسدة فهو دواء لما أمره فيها الشيطان " [١] .

قــال تعــالى **﴿ قــد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ﴾** [٢] .

وقال تعالى **﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾** [٣]

كما يمكن التحرز من هذا العدو بما أرشدنا إليه الرسول صلى الله علــيه وســلم من الأدعية والأذكار التي تحفظ المسلم وهذا الذي أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إليه كثير لا يحصى في هـــذه

---

[١] إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (ص١٤٨) .

[٢] سورة يونس (٥٧) .

[٣] سورة الإسراء (٨٢) .

العجالـــة ذلك أنه يشمل كل ما يتعلق بحياة الإنسان المسلم وحسبنا أن نشير إلى نماذج من ذلك .

فقـــد أرشدنا النبي عليه الصلاة والسلام مثلاً إلى الاستعاذة من الشـــيطان عـــند الغضب فقال : عندما استب في مجلسه رجلان حتى احمـــر وجه أحدهما " إني أعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " .

كمـــا أرشـــدنا عليه الصلاة والسلام إلى الاستعاذة عند دخول الخلاء قال " اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث " (١) .

كما أرشدنا أيضاً إلى قراءة سورة البقرة في المنازل لأنها حرز من الشيطان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله علـــيه وســـلم قـــال : لا تجعلوا بيوتكم قبوراً فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخلها شيطان " (٢) .

كمـــا أرشـــدنا الرسول على المداومة على ذكر الله في كل يوم لأن في ذلك حماية من الشيطان سائر اليوم فقال : " من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت

---

(١)

(٢)

عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه " (١) .

كما أرشدنا صلى الله عليه وسلم إلى البسملة في كل أمر نقدم عليه لأن البسملة تطرد الشياطين وتمنع دخولهم منازل الناس ومشاركتهم الإنس في طعامهم وشرابهم ،

فعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء " (٢) .

كما أن من أهم طرق التحرز من الشيطان الرجيم العلم بمكائده وأحابيله التي ينصبها للناس لتجنبها والابتعاد عنها ، كما أن العودة والتوبة إلى الله تعتبر من الأسلحة التي يواجه بها المسلم هذا الشيطان قال تعالى ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ (٣) .

---

(١)

(٢)

(٣)

وبالجملـــة فإن الالتجاء إلى الله والاحتماء به واتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وتطبيقه قولاً وعملاً في شؤون الحياة كلها هــو الحصـــن الحصين الذي يحتمي به المسلم من كيد الشيطان وهو الســلاح الذي ينتصر به على عدوه الذي يسعى ليله ونهاره في سبيل إضلال بني آدم ، نعوذ بالله منه .

خاتمة البحث

وبعـــد فقـــد توصـــلت من خلال هذا البحث رغم تواضعه إلى الحقائق والنتائج التالية :

١ – أثبـــت القرآن الكريم والسنة النبوية وجود الجن على هذه الأرض التـــي نعيش عليها ومن ثم فلا حاجة إلى إنكار ما تأكد ثبوته قطعياً لأن الإنكار يفضي بصاحبه إلى الكفر والعياذ بالله .

٢ – أن نبيـــنا محمـــد صلى الله عليه وسلم بعث إلى الجن كما بعـــث إلى الإنس وبالتالي فهم مكلفون مخاطبون بهذه الشريعة كالإنس ســـواء بســـواء إلا ما اختص به كل جنس عن الآخر بسبب اختلاف طبيعة الجنسين عن بعضهما البعض .

٣ – أن فـــي الجـــن مؤمـــن وكافـــر فمؤمنهم في الجنة منعم وكافرهم في النار معذب .

٤ – يمكن رؤية الجن إذا تشكلوا بصور غير صورهم الأصلية كتشـــكلهم بصور الحيات وغير ذلك أما على حقيقتهم التي خلقوا عليها أصلاً فلا .

٥ – أن الجن يعيشون حياة تشبه في سماتها العامة حياة الإنس فهم يأكلون ويشربون ويتناسلون وفيهم مسلمون ويهود ونصارى .

٦ – أن إبليس أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس .

٧ – أن الوسـواس أصـل كـل شر لأنه مبدأ الكفر والفسوق والعصيان .

٨ – قدرتهم على الأعمال الشاقة والعظيمة واستطلاع الأخبار نتيجة الخفة والسرعة في الحركة .

٩ – كما في الجن جوانب قوة كذلك فيهم جوانب ضعف كعدم قدرتهم التسلط على عباد الله الصالحين مثلاً .

١٠ – أن الجـن لـم يسـخروا لأحد بعد نبي الله سليمان عليه السلام لا نبي ولا غيره .

١١ – أن الجن لا يعلمون الغيب .

١٢ – ثبوت دخول الجن في بدن الإنسان .

والحمـد لله رب العالميـن والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

فهرس الموضوعات